ملخص تاريخ أدب اللغة العربية

الدكتور محمد سعي

UIN MATARAM PRESS

ملخص تاريخ أدب اللغة العربية

د. محمد سعي

UIN MATARAM PRESS
Alamat : Jl. Gajah Mada No. 100 Jempong Baru Kec. Sekarbela - Kota Mataram
Telp. (0370) 621298 Fax. (0370)625337 email : lp2m@uinmataram.ac.id

ملخص تاريخ أدب اللغة العربية

Penulis :
Dr. Muhammad Sa'i, MA.

ISBN : 978-623-91908-7-3

Editor :
Dr. Emawati, M.Ag

Penyunting :
Dr. Emawati, M.Ag

Desain Sampul Dan Tata Letak :
Safarudin

Penerbit :
UIN Mataram Press

Redaksi :
Kampus II UIN Mataram (Gedung Research Center Lt. 1)
Jl. Gajah Mada No. 100 Jempong Baru Kota Mataram – NTB 83116
Telp. (0370) 621298 Fax. (0370) 625337
Email : press@uinmataram.ac.id

Distributor Tunggal :
CV. Sanabil
Perum Puri Bunga Amanah Block, Blk. C No.13, Sayang Sayang,
Kec. Cakranegara, Kota Mataram, Nusa Tenggara Bar. 8323

Cetakan Pertama, November 2022
Hak cipta dilindungi undang-undang
Dilarang memperbanyak karya tulis ini dalam bentuk dan dengan cara apapun tanpa ijin tertulis dari penerbit.

كلمة التقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِيْ خَلَقَ ٱلإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ وَنَزَّلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ. وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيْمِ، وَهُوَ أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِلُغَةِ الضَّادِ وَخَاتَمُ ٱلأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ.

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ لُغَةُ ٱلإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِيْنَ. بِهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ دُسْتُوْرًا لِلْمُسْلِمِيْنَ، فَكَانَتْ طِوَالَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ وِعَاءً لِلْحَضَارَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ فِيْ مَشَارِقِ ٱلأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. وَقَدْ كَانَتْ لِهَذِهِ اللُّغَةِ مَكَانَةٌ عَالِيَةٌ بَيْنَ اللُّغَاتِ الْمَعْرُوْفَةِ. وَهِيَ تَتَطَوَّرُ تَطَوُّرًا تُنَاسِبُ الْبِيْئَةَ السِّيَاسِيَّةِ وَالإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ تَجَارِيْبِ شُعَبِهَا.

فَهَذَا "مُلَخَّصُ تَارِيْخِ أَدَبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ" لِطُلاَّبِ جَامِعَةِ مَاتَارَامْ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ الْحُكُوْمِيَّةِ. وَهُوَ يَشْمَلُ عَلَى دِرَاسَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَا لَهَا مِنَ الْعُصُوْرِ وَالتَّطَوُّرَاتِ.

وَقَدْ رَعَيْنَا فِيْ كِتَابَةِ هَذَا الْمُلَخَّصِ بِسُهُوْلَةِ الْعِبَارَةِ وَالْوُضُوْحِ، وَالدِّقَّةِ فِي التَّعْبِيْرِ، حَيْثُ أَثْبَتْنَا فِيْهِ مَا نَرَى أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِمُسْتَوَى الطَّالِبِ وَقُدْرَتِهِ.

يَحْتَوِيْ هَذَا الْمُلَخَّصِ عَلَى الْبَحْثِ فِيْ نَفْسِ اللُّغَةِ مِنْ وَظِيْفَتِهَا وَٱلآرَاءِ حَوْلَ نَشْأَتِهَا وَطَبَقِ أُمَّتِهَا، ثُمَّ الْبَحْثِ فِيْ أَحْوَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيْ، وَعَصْرِ صَدْرِ ٱلإِسْلاَمِ، وَعَصْرِ الْعَبَّاسِيَةِ، وَالْمُتَتَابَعَةِ، وَالنَّهْضَةِ، وَعَصْرِ ٱلأَنْدَلُسِ، وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ أَحْوَالِ مُجْتَمَعِهَا وَأَغْرَاضِهَا وَأَسَالِيْبِهَا.

وَنَحْنُ نُقَدِّمُ هَذَا الْمُلَخَّصَ بِنَاءً عَلَى ٱلإِعْتِرَافِ بِأَنَّنَا نُوَجِّهُ مُشْكِلَةً فِيْ نَيْلِ الْكُتُبِ وَالْمَوَادِّ التَّعْلِيْمِيَّةِ لِتَدْرِيْسَتِهَا قُمْيًا وَكَمْيًا خَاصَّةً لِطُلاَّبِ جَامِعَةِ مَاتَارَامْ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ الْحُكُوْمِيَّةِ لاَتَزَالُ قَلِيْلاً.

وَأَخِيْرًا، نَرْجُو أَنْ يَسْتَفِيْدَ طُلاَّبُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ الْحُكُوْمِيَّةِ تَرْقِيَةً لِمَعْرِفَتِهُمْ بِهَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ خَاصَّةً وَلِجَمِيْعِ الْقُرَّاءِ عَامَّةً.

فهرس الكتاب

كلمة التقديم – ١

الدرس الأول : اللغة وتاريخ أدبها – ٨

- وظيفة اللغة
- فوائد معرفة أدب اللغة
- الآراء حول نشأة اللغة

الدرس الثاني : اللغة العربية في العصر الجاهلي – ٢١

- سماء العربية وأرضها
- اللغة العربية نشأتها ووظيفة أمتها
- حالة اللغة العربية في العصر الجاهلي
- الصراع بين اللهجات العربية
- أغراض اللغة في الجاهلية
- معاني اللغة فى الجاهلية
- عبارة اللغة فى الجاهلية
- نموذج من الخطبة

الدرس الثالث : اللغة العربية في عصر صدرالإسلام – ٣٧

- حالة اللغة في هذاالعصر
- القرآن وأثره في اللغة
- حركة التدوين والتصنيف
- نموذج من الخطب والوصايا

الدرس الرابع : اللغة العربية في العصر العباسي– ٥٠

- نظرة إجمالية في الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية
- أثر الحضارة العباسية في أحوال اللغة
- أغراض اللغة في هذا العصر
- المعاني والأفكار
- الألفاظ و الأساليب
- حركة التدوين والتصنيف
- خلاصة في أثر الحضارة العباسية في اللغة العربية
- نموذج من الخطب

الدرس الخامس : عصر الدول المتتابعة – ٦٧

- الحياة السياسية
- الحياة الإجتماعية
- جالة اللغة العربية في هذاالصر
- حركة التدوين

الدرس السادس : عصر النهضة العربية – ٧٥

- قبل البعث
- بعد البعث
- حركة الترجمة
- أسباب نهضة اللغة والأدب بمصر

الدرس السابع : اللغة العربية في العصر الأندلسي – ٨٦

- الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية الفكرية
- حالة اللغة العربية في بلاد الأندلس

المراجع

الدرس الأوّل

اللُّغَةُ وَتَارِيْخُ أَدَبِهَا

يَحْسُنُ قَبْلَ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنِ الْعُصُوْرِ الَّتِيْ مَرَّتْ عَلَيْهَا اللُّغَةُ وَآدَابِهَا أَنْ نُقَدِّمَ لِلْمَوْضُوْعِ بِتَعْرِيْفِ التَّارِيْخِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ عَامَّةً وَخَاصَّةً.

كَلِمَةُ "التَّارِيْخ" كَلِمَةٌ مُوْجَزَةٌ بَسِيْطَةٌ مُشْتَاقَةٌ مِنْ : أَرَّخَ – يُأَرِّخُ – تَأْرِيْخًا وَتَارِيْخًا : تَعْرِيْفُ الْوَقْتِ . وَهِيَ فِيْ ظَاهِرِهَا جُمْلَةُ الْأَحْوَالِ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا كَائِنُ مَا تَصْدُقُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، كَمَا تَصْدُقُ عَلَى الظَّوَاهِرِ الطَّبِيْعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ فِيْ

1

مَعْنَاهُ ٱلآخَرِ مَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الْمَاضِيِيْنَ وَأَحْوَالِهِمْ مِنْ حَيْثُ مَعِيْشَتِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ وَإِعْتِقَادِهِمْ وَآدَبِ لُغَتِهِمْ.

وَأَمَّا كَلِمَةُ "ٱلأَدَب" فَإِنَّهَا مُشْتَاقَةٌ مِنْ أَدُبَ – يَأْدُبُ – أَدَبًا وَمَأْدَبَةً وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الطَّعَامِ وَالتَّأْثِيْرِ. وَٱلأَدِيْبُ هُوَ الدَّاعِ أَوِ الْمُؤْثِرِ. وَيُطْلَقُ ٱلأَدَبُ عَلَى مَعَانٍ :

- التَّهْذِيْبُ وَالْخُلُقُ. كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ؛
- التَّعْلِيْمُ. فَالْمُؤَدِّبُوْنَ هُمُ الَّذِيْنَ يُلْقُوْنَ أَوْلاَدَ الْخُلَفَاءِ الشِّعْرَ وَالْخُطَبَ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَنْسَابِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ؛
- التَّهْذِيْبُ وَالتَّعْلِيْمُ مَعًا. مِثْلُ ٱلأَدَبُ الْكَبِيْرُ وَٱلأَدَبُ الصَّغِيْرُ؛
- جَمِيْعُ الْمَعَارِفِ دِيْنِيَّةً وَغَيْرَ دِيْنِيَّةٍ؛
- كُلُّ مَا يُنْتِجُهُ الْعَقْلُ وَالشُّعْرُ.

وَعَلَى هَذِهِ الْمَعَانِ تُعْرَفُ أَنَّ لِلْأَدَبِ مَعْنَيَانِ وَهُمَا عَامٌّ وَخَاصٌّ.

فَالْأَدَبُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ هُوَ التَّمَتُّعُ بِالْأَخْلاَقِ الْكَرِيْمَةِ كَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ كَمَا وَرَدَ عَنْ رَسُوْلِ اللَّهِ: أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ. وَأَمَّا الْأَدَبُ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ هُوَ الْكَلاَم الْجَمِيْلُ الْبَلِيْغُ الْمُؤْثِرُ فِي النَّفْسِ.

وَاللُّغَةُ هِيَ مُشْتَاقَةٌ مِنْ لَغِيَ – يَلْغِيْ – لُغَةً أَوْ لَغَا – يَلْغُوْ – لَغْوًا بِمَعْنَى تَكَلَّمَ، كَمَا وَرَدَ فِيْ حَدِيْثِ رَسُوْلِ اللَّهِ: مَنْ قَالَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ لِصَاحِبِهْ صَهْ فَقَدْ لَغَا أَيْ تَكَلَّمَ. وَقَالَ أَيْضًا :مَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا أَيْ تَكَلَّمَ. وَمِنْهُ اِسْتَلْغَى فُلاَنًا أَيْ اِسْتَنْطَقَهُ وَاسْتَمَعَ لُغَتَهُ.

فَاللُّغَةُ عَلَى وَزْنِ فِعْلَةٌ وَهِيَ لَغَوْتُ أَيْ تَكَلَّمْتُ أَصْلُهَا لِغْوَةٌ كَكِرَّةٍ وَقِلَّةٍ وَقِيْلَ أَصْلُهَا لَغْيٌ أَوْ لَغْوٌ وَالْهَاءُ عِوَضٌ وَجَمْعُهَا لَغَى.

يُطْلَقُ اللُّغَةُ عَلَى مَعَانٍ :

- مَجْمُوْعَةُ مُفْرَدَاتِ الْكَلاَمِ وَقَوَاعِدِ تَأْلِيْفِهَا الَّتِي تَمَيَّزَ جَمَاعَةٌ بَشَرِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ تَتَبَادَلَ أَفْكَارُهَا وَرَغَبَاتُهَا وَمَشَاعِرُهَا؛

- مَجْمُوْعَةُ ٱلأَلْفَاظِ وَالصِّيَغِ اللُّغَوِيَّةِ وَخَصَائِصِ ٱلأَسَالِيْبِ الْكَلاَمِيَّةِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا مُؤَلِّفُ مَا أَوْ طَائِفَةٌ إِجْتِمَاعِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ.

وَقَدْ شَاعَ تَعْرِيْفُ اللُّغَةِ فِيْ الْعُصُوْرِ الْوُسْطَى وَمَازَالَ الْعُلَمَاءُ يُرَدِّدُوْنَهُ حَتَّى ٱلآنَ. وَهِيَ أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ. أَوْ هِيَ أَصْوَاتٌ يُعَبَّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ.

وَعَرَّفَ عُلَمَاءُ النَّفْسِ بِأَنَّ اللُّغَةَ هِيَ الْوَسِيْلَةُ الَّتِي يُمْكِنُ بِهَا تَحْلِيْلُ صُوْرَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ ذِهْنِيَّةٍ إِلَى أَجْزَائِهَا وَخَصَائِصِهَا بِحَيْثُ يُمْكِنُ تَرْكِيْبَ هَذِهِ الصُّوْرَةِ مَرَّةً أُخْرَى فِيْ أَذْهَانِ غَيْرِنَا بِوَاسِطَةِ تَأْلِيْفِ كَلِمَاتٍ فِيْ وَضْعٍ خَاصٍّ.

وَأَمَّا الْمُفَكِّرُوْنَ مِنْ غَيْرِ عُلَمَاءِ النَّفْسِ فَعَرَّفُوْهَا بِأَنَّهَا أَلْفَاظٌ يُعَبِّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ، وَتَتَّخِذُهُ آدَةٌ لِلْفَهْمِ وَالتَّفَاهُمِ وَالتَّفْكِيْرِ وَنَشْرِ الثَّقَافَةِ وَالْمَعَارِفِ ٱلإِنْسَانِيَّةِ.

نَظْرًا عَلَى التَّعَارِيْفِ السَّابِقَةِ فَآدَابُ لُغَةِ أَيِّ أُمَّةٍ هِيَ مَا أَوْدَعَ نَثْرِهَا وَشُعْرِهَا مِنْ نَتَائِجِ أَبْنَائِهَا وَأَمْثِلَةِ طَبَائِعِهَا وَصُوَرِ أَخْلِيَتِهِمْ وَمَبْلَغِ بَيَانِهِمْ وَمِمَّا شَأْنُهُ يُهَذِّبُ النَّفْسَ وَيُثْقِفُ الْعَقْلَ وَيُقَوِّمُ اللِّسَانِ.

وَتَارِيْخُ أَدَبِ اللُّغَةِ هُوَ الْعِلْمُ الْبَاحِثُ عَنْ أَحْوَالِ اللُّغَةِ نَثْرَهَا وَنَظْمَهَا فِيْ عُصُوْرِهَا الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ حَيْثُ رَفْعَتِهَا وَضَعْفِهَا وَمَا كَانَ لِنَابِغِيْهَا مِنَ ٱلآثَارِ الْبَيِّنَةِ فِيْهَا.

وَلِأَنْ يَتَّسِعُ الْبَحْثَ فِيْ هَذَا الْمُلَخَّصِ فَنُحَدِّدُ مَوْضُوْعَهُ فِيْ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَارِيْخِهَا.

وَظِيْفَةُ اللُّغَةِ

الْوَظِيْفَةُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الدَّوْرُ الَّذِيْ يَلْعَبُ بِهِ أَيِّ لُغَةٍ كَانَتْ. وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيْ بَيَانِ هَذَا الدَّوْرِ حَسْبَ النَّظَرِ فِيْ تَعَارِيْفِهَا. وَالْمَشْهُوْرُ بَيْنَ النَّاسِ – قَدِيْمًا وَحَدِيْثًا – يَرَوْنَ أَنَّ اللُّغَةَ هِيَ وَسِيْلَةٌ لِنَقْلِ الْأَفْكَارِ وَالِمَعَانِ وَالْإِنْفِعَالاَتِ وَالرَّغَبَاتِ. إِذْ هِيَ وَسِيْلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ وَالتَّوْصِيْلِ أَوِ النَّقْلِ أَوِ التَّعْبِيْرِ عَنْ طَرِيْقِ الْأَصْوَاتِ الْكَلاَمِيَّةِ.

فَاللُّغَةُ إِذَنْ لاَ تَعْدُو أَنْ تَكُوْنَ مِرْآةً عَاكِسَةً لِلْفِكْرِ، أَوْ مُسْتَوْدِعًا لِلْفِكْرِ الْمُنْعَكِسْ. وَمِمَّا عَرَّفْنَا هُنَا نَرَى أَنَّ لِلُغَةٍ وَظَائِفُ شَتَّى وَمِنْهَا :

- أَنَّ اللُّغَةَ نَشَأَتْ كَضُرُوْرَةٍ مِنْ ضَرُوْرَاتِ الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيْ وَهِيَ آدَةُ التَّفَاهُمِ الْبَسِيْطِ وَنَقْلِ الْفِكْرِ؛

- اللُّغَةُ تُؤَدِّيْ دَوْرًا هَامًّا فِيْ صُنْعِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَعْزُو إِلَيْهَا كُلُّ تَقَدُّمٍ حَضَارِيٍّ؛

- وَظِيْفَةٌ نَفْعِيَّةٌ وَهِيَ آدَةٌ مِنْ أَدَوَاتِ الْعَمَلِ لَهَا عَلاَقَتُهَا الْمُبَاشِرَةُ بِالْمَدْلُوْلِ أَوْ هِيَ وَظِيْفَةُ اللُّغَةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ النَّفْعِيَّةِ؛

- وَظِيْفَةٌ جَمَالِيَّةٌ هِيَ نَتِيْجَةٌ لِرُقَى الْمُجْتَمَعِ وَتَطَوُّرِ الْحَيَاةِ.

فَوَائِدُ مَعْرِفَةِ تَارِيْخِ أَدَبِ اللُّغَةِ

مِنْ أَهَمّ فَائِدَةِ مَعْرِفَةِ تَارِيْخِ أَدَبِ اللُّغَةِ هِيَ :

أَوَّلاً : مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ اِرْتِفَاءِ أَوْ اِنْحِطَاطَةِ أَدَبِ اللُّغَةِ، دِيْنِيَّةً كَانَتْ تِلْكَ ٱلأَسْبَابُ أَوْ اِجْتِمَاعِيَّةً أَوْ سِيَاسِيَّةً، فَنَتَمَسَّكَ بِأَسْبَابِ ٱلاِرْتِقَاءِ وَنَتَحَامَى أَسْبَابَ ٱلاِنْحِطَاطِ؛

ثَانِيًا : مَعْرِفَةُ أَسَالِيْبِ اللُّغَةِ، وَفُنُونِهَا، وَأَفْكَارِ أَهْلِهَا وَمَوَاضِعَاتِهَا، وَاخْتِلاَفِ ذَوَاقِهِمْ فِيْ نَثْرِهِمْ وَنَظْمِهِمْ وَعَلَى اخْتِلاَفِ عُصُوْرِهِمْ حَتَّى يَتَهَيَّأَ الْمُتَخَرّجُ فِيْ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يُمَيِّزَ لَوْنَ

صُوَرِ الْكَلاَمِ فِيْ عَصْرٍ وَصُوَرِهِ فِيْ آخَرِ، بَلْ بِمَا يَصِحُّ أَنْ يُلْحَقَ الْقَوْلُ بِقَائِلِ عَيْنِهِ؛

ثالثا : مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ النَّابِهِيْنَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ فِيْ كُلِّ عَصْرٍ وَمَا كَانَ لِنَشْرِهِمْ وَشِعْرِهِمْ وَتَأْلِيْفِهِمْ مِنْ أَثَرٍ مَحْمُوْدٍ أَوْ حَالٍ مَمْقُوْتَةٍ لِنَتَحَذَّى مِثَالَ الْمُحْسِنِ.

ٱلآرَاءُ حَوْلَ نَشْأَةِ اللُّغَةِ

اِخْتَلَفَ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ فِيْ بَيَانِ نَشْأَةِ اللُّغَةِ. وَيُمْكِنُ إِيْجَازُهَا إِلَى آرَاءٍ :

ٱلأَوَّلُ : الْمَذْهَبُ التَّوْقِيْفِيْ

الْمَذْهَبُ التَّوْقِيْفِيْ هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِيْ يَرَى أَنَّ نَشْأَةَ اللُّغَةِ ٱلإِنْسَانِيَّةِ تَرْجِعُ إِلَى إِلْهَامٍ إِلَهِيٍّ هَبَطَ عَلَى ٱلإِنْسَانِ وَعَلَّمَهُ النُّطْقَ وَأَسْمَاءِ ٱلأَشْيَاءِ. عَرَضَتْ مُسَمَّيَاتُهَا عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَعَجَزُوْا عَنْ مَعْرِفَتِهَا. يَغْلُوْ هَذَا الْمَذْهَبُ فَيَقُوْلُوْنَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَ آدَمَ لُغَةَ الْبَشَرِ جَمِيْعًا مَا كَانَ مِنْهَا وَمَا سَيَكُوْنُ، ذَاهِبِيْنَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِٱلأَسْمَاءِ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى، [وَعَلَّمَ آدَمَ

ٱلأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُوْنِيْ بِأَسْمَائِهَا] [الْبَقَرَةُ : ٣١] مَا كَانَ سِمَةٌ وَعَلاَمَةٌ لِلشَّيْءِ؛

الثَّانِيْ : الْمَذْهَبُ ٱلإِصْطِلاَحِيْ وَالْمَوَاضِعِيْ

هَذَا الْمَذْهَبُ ٱلإِصْطِلاَحِيْ وَالْمَوَاضِعِيْ –الْمَذْهَبُ الْمَشْهُوْرُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعَرَبِ – يَرَى أَنَّ اللُّغَةَ فِيْ بِدَايَتِهَا اِبْتَدَعَتْ بِالْمَوَاضِعَةِ وَٱلإِرْتِجَالِ. مُجْمَلُهُ أَنْ يَجْتَمِعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَيَسْتَعْرَضُوْا أَمَامَهُمْ الْمَدْلُوْلاَتِ الْحِسِّيَّةِ، ثُمَّ يُشِيْرُ أَحَدُهُمْ هَذِهِ الْمَدْلُوْلاَتِ وَيَنْطِقُ بِلَفْظٍ يَجْعَلُهُ دَالاً عَلَيْهِ فَيُوَافِقُ ٱلآخَرُوْنَ عَلَى ذَلِكَ وَيُرَدِّدُوْنَ هَذَا اللَّفْظَ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْمَدْلُوْلِ ٱلآخَرِ وَهَكَذَا تَتَدَاوَرَ اللُّغَةُ؛

الثَّالِثُ : مَذْهَبُ الْمُحَاكَاةِ وَالتَّقْلِيْدِ

مَذْهَبُ الْمُحَاكَاةِ وَالتَّقْلِيْدِ قَائِمٌ عَلَى أَنَّ ٱلإِنْسَانَ ٱلأَوَّلُ قَدْ أَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ وَسِيْلَةٍ يَتَفَاهَمَ بِهَا عَنْ مُخَالِطِيْهِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَاهْتَدَى بَعد إِلَى اِسْتِحْدَاثِ اللُّغَةِ لأَنَّهَا أَيْسَرَ سُبُلِ التَّفَاهُمِ، قَدْ بَدَأَهَا بِمُحَاكَاةِ ٱلأَصْوَاتِ الَّتِيْ تَفْرَعُ أُذُنَيْهِ فِيْ

بِيْئَتِهِ كَالْأَصْوَاتِ الطَّبِيْعِيَّةِ مِنْ خَفِيْفِ ٱلْأَشْجَارِ وَخَرِيْرِ الْمِيَاهِ وَهَزِيْرِ الرِّيْحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَالْأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ مِثْلُ نَهِيْقِ الْحِمَارِ وَنَعِيْقِ الْغُرَابِ وَصَهِيْلِ الْفَرَسِ وَهَدِيْرِ الْبَعِيْرِ فَأَخَذَ يُحَاكِيْ هَذِهِ ٱلْأَصْوَاتِ وَيَتَدَلُّ بِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهَا عَلَى مَصْدَرِهِ كَمَا يَفْعَلُ الطِّفْلُ فِيْ صِغَرِهِ حِيْنَ يُسَمَّى الْكَلْبُ بِالْهُوْ، وَالْهِرَّةُ بِالنُّوْ، وَالدَّجَاجَةُ بِالْكَاكَا، وَهَكَذَا.

الرَّابِعُ : مَذْهَبُ الْغَرِيْزَةِ

هَذَا الْمَذْهَبُ الْغَرِيْزِيْ يَرَى أَنَّ اللُّغَةَ تَرْجِعُ إِلَى غَرِيْزَةٍ خَاصَّةٍ زُوِّدَ ٱلْإِنْسَانُ بِهَا مُنْذُ الْقِدَمِ. وَهَذِهِ الْغَرِيْزَةِ كَانَتْ تَحْمِلُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ بَنِي ٱلْإِنْسَانِ عَلَى التَّعْبِيْرِ عَنْ كُلِّ مَدْرَكٍ حِسِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ بِكَلِمَةٍ خَاصَّةٍ. وَكَانَتْ عِنْدَ جَمِيْعِ ٱلْأَفْرَادِ مُتَّحِدَةً فِيْ طَبِيْعَتِهَا وَوَظَائِفِهَا وَمَا يَصْدُرُ عَنْهَا، لِذَلِكَ اتَّحَدَتِ الْمُفْرَدَات وَتَشَابَهَتْ فِيْ طُرُقِ التَّعْبِيْرِ، وَلَكِنْ تَطَاوَلَ الْعُصُوْرُ أَثَرُ عَلَى تِلْكَ الْغَرِيْزَةِ فَتَلاَشَتْ.

الْخَامِسُ: مَذْهَبُ ٱلِانْدِمَاجِ

ِمنْ أَحَدِ كِبَارِ هَذَا الْمَذْهَبِ "مُحَمَّد سَرْحَان" مُدَرِّسٌ مِنْ كُلِّيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالرِّيَاضِ، يَرَى أَنَّ اللُّغَةَ فِيْ بِدَايَتِهَا عَلَى مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ِلآدَمَ مِنْ أَسْمَاءِ ٱلأَجْنَاسِ وَأَسْمَاءِ مَا وَقَعَ تَحْتَ حِسِّهِ فِي الْجَنَّةِ الَّتِيْ أُخْرِجَ مِنْهَا هُوَ ٱلأَصْلُ ٱلأَوَّلُ لِلُغَةِ آدَمَ وَأَبْنَائِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلآيَةُ، ثُمَّ زَادُوْا عَلَيْهَا لِعدَدِ ذَلِكَ بِالتَّفْرِيْعِ عَنْهَا وَالنَّسْجِ عَلَى مَنْوَالِهَا فِيْ تَكْوِيِْنِ ٱلأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعَانِيْ، وَإِنَّهُمُ اسْتَعَانُوْا كَذَالِكَ بِالْمُحَاكَاةِ وَالتَّقْلِيْدِ، ثُمَّ تَعَدَّدَتِ اللُّغَةُ بَعْدَ تَفَرُّقِ أَبْنَاءِ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ فِيْ بَقَاءِ ٱلأَرْضِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَاخْتِلاَفِ الْبِيْئَةِ وَالْمُشَاهَدَاتِ وَالْمَدْلُوْلاَتِ فِيْ كُلِّ جِهَةٍ عَنْهَا فِيْ أُخْرَى، وَتَأَثَّرَ ٱلأَلْسِنَةُ بِاِلأَجْوَاءِ وَغَيْرِهَا.

الدرس الثاني

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيْ

سَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ وَأَرْضُهَا

إِنَّ الْجَزِيْرَةَ الْعَرَبِيَّةَ – مَهْدُ الْعَرَبِ وَالْعُرُوْبَةِ – أَرْضٌ مُنْبَسِطٌ كُلَّ ٱلِانْبِسَاطِ، لاَ جِبَالاً شَاهِقَةً تُلاَمِسُ السَّمَاءَ وَلاَ أَوْدِيَةً سَحِيْقَةً وَأَغْوَارًا عَمِيْقَةً وَيَنْزَلِقُ عَنْهَا الذُّبَابُ، بَلْ سُهُوْلٌ يُضِيْعُ فِيْهَا النَّظَرُ وَتُغَطِّيْهَا الرِّمَالُ وَتَعْلُوْهَا الْكَثْبَانُ، لاَ تَشُقُّهَا أَنْهَارٌ وَلاَ تَزِرُ كَشْهَا غَابَاتٍ وَلاَ تَجْمَلُهَا رِيَاضٌ، بَلْ وَحَاتٌ فَقِيْرَةٌ وَأَرْضٌ أَفْقَرُ وَنَخِيْلٌ أَجْرَدُ.

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ نَشْأَتُهَا وَطَبَقَاتُ أُمَّتِهَا

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ إِحْدَى اللُّغَاتِ السَّامِيَةِ. هَذِهِ اللُّغَةُ لُغَةُ أُمَّةِ الْعَرَبِ الْقَدِيْمَةِ الَّتِيْ تَسْكُنُ الْجَزِيْرَةِ الْمَنْسُوْبَةِ إِلَيْهَا فِي الطَّرْفِ الْجَنُوْبِيْ الْغَرْبِيّ مِنْ آسِيَا.

وَهَذِهِ اللُّغَةُ لَمْ يَصِلْ الْبَحْثُ الْعِلْمِيْ إِلَيْهَا فِيْ تَعْيِيْنِ الزَّمَانِ الَّتِيْ نَشَأَتْ فِيْهِ وَلاَ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِيْ كَانَتْ عَلَيْهَا عِنْدَ نَشْأَتِهَا وَكُلُّ مَا عَرَفْنَاهُ أَنَّهَا كَانَتْ فِيْ عُصُوْرِهَا ٱلأُوْلَى تَخْتَلِفُ اِخْتِلاَفًا كَبِيْرًا عَنْهَا فِيْ عُصُوْرِهَا ٱلأَخِيْرَةِ. وَإِنْ كَانَتْ ِلإِقْدَامِ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ آثَارِ الْعَرَبِيَّةِ ٱلأُوْلَى وَهِيَ الَّتِيْ تُسَمَّى بِالْبَائِدَةِ لاَ يَتَجَاوَزُ الْقَرْنَ ٱلأَوَّلَ قَبْلَ الْمِيْلاَدِ. وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْعَرَبِ الْحَدِيْثَةِ لاَ يَعْدُو الْقَرْنَ الْخَامِسَ الْمِيْلاَدِيْ. بَيْنَمَا عَثَرَ مِنْ آثَارِ اللُّغَاتِ السَّامِيَةِ ٱلأُخْرَى عَلَى نُصُوْصٍ يَتَرَاوَحُ زَمَنُهَا بَيْنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِيْنَ وَالْقَرْنِ التَّاسِعِ قَبْلَ الْمِيْلاَدِ.

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ كَانَتْ بِالْجَزِيْرَةِ عَلَى عَهْدِ قَوْمِ عَادٍ وَأَنَّ قَحْطَانَ حِيْنَمَا وَفَدَ عَلَى الْيَمَنِ مُهَاجِرًا مِنْ سَقَى الْفُرَاتِ وَتَغْلِبُ عَلَى بَقَايَاتِ عَادٍ وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلاَدِهِمْ أَخَذَ عَنْهُمْ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَصَارَتْ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ لِسَانَ الْقَحْطَانِيِّيْنَ. وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْلِدِ الْمَسِيْحِ بِأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ وَأَلْفَيْنِ مِنَ ٱلأَعْوَامِ.

وَيُرَجِّحُ آخَرُوْنَ أَنَّ يُعْرَب بنَ قَحْطَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيُرَدِّدُوْنَ الرَّأْيَ ٱلأَوَّلَ بِأَنَّ عَادًا ٱلأُوْلَى قَدْ بَادَتْ هِيَ وَلُغَتُهَا، وَلَمْ يُعْرَفْ مِنْ أَمْرِهَا سِوَى مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَنَحْنُ لاَ نَسْتَطِيْعُ التَّسْلِيْمَ بِصِحَّةِ الْمَذْهَبِ الثَّانِيْ أَيْضًا إِذْ لاَ يُمْكِنُ الْقَوْلَ بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ نَشَأَتْ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَأَنَّ شَخْصًا مُعَيَّنًا هُوَ أَوَّلُ مَنَ نَطَقَ بِهَا، بَلْ لاَ بُدَّ لِلُغَةٍ فِيْ نَشْأَتِهَا مِنْ زَمَنٍ طَوِيْلٍ، وَأَطْوَارٍ تَتَقَلَّبُ فِيْهَا حَتَّى تَنْحَرِفَ مِنْ أَصْلِهَا ٱلأَوَّلِ وَتَصِيْرُ لُغَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا. وَإِذْ صَحَّ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْبَاحِثِيْنَ مِنْ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ ٱلأَصْلُ ٱلأَوَّلُ لِلُغَةِ السَّامِيَةِ، وَأَنَّ

الْمَوْطِنَ الْأَوَّلَ لِلسَّامِيِّيْنَ كَانَتِ الْجَزِيْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَإِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَكُوْنُ مُرْتَبِطَةً فِيْ شَأْنِهَا بِتَارِيْخِ الْجِنْسِ السَّامِيْ وَنَشْأَتِهِ فِيْ تِلْكَ الْبِلاَدِ مُنْذُ أَقْدَمِ الْعُصُوْرِ.

وَالْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى ثَلاَثِ طَبَقَاتٍ:

أَوَّلُهَا : الْعَرَبُ الْبَائِدَةُ

هَذِهِ الْأُمَّةُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا شَيْءً صَحِيْحًا مِنْ أَخْبَارِهِمْ إِلاَّ مَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، وَإِلاَّ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ وَمِنْ أَشْهَرِ قَبَائِلِهِمْ : جَدِيْس، طسم، عَاد، ثَمُوْد، عمليق، عبد، وضخم.

ثَانِيْهَا : الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ

الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ هُمْ بَنُوْ قَحْطَان الَّذِيْنَ جَالُوْا عَنْ سَقَى ٱلأَفْرَاتِ وَاخْتَارُوْا الْيَمَنَ مَنَازِلَهُمْ وَامْتَازَتْ لُغَتُهُمْ بِلُغَةِ سَابِقِيْهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ فِيْ أَنْحَاءِ الْجَزِيْرَةِ، وَمِنْ أُمَّهَاتِ قَبَائِلِهِمْ كَهْلاَن وَحُمَيْر.

ثَالِثُهَا : الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبُةُ

الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ هُمْ بَنُوْ إِسْمَاعِيْل بْنُ إِبْرَاهِيْم الَّذِيْ أَنْزَلَهُ أَبُوْهُ بِبَطْنِ مَكَّةَ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ قَبْلَ الْمِيْلاَدِ، الطَّارِئُوْنَ عَلَى الْقَحْطَانِيِّيْنَ الْمُمْتَزِجُوْنَ بِهِمْ لُغَةً وَنَسَبًا وَالْمَعْرِفَ بَعْدَ بِالْعَدْنَانِيِّيْنَ، نَشَأُواْ بِمَكَّةَ وَالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَنَجْدِ وَالشَّامِ. وَمِنْ أُمَّهَاتِ قَبَائِلِهِمْ : رَبِيْعَة وَمُضَر وَإِيَاد وَأَنْمَار.

حَالَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيْ

عَصْرُ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْتَهِيْ بِظُهُوْرِ ٱلإِسْلاَمِ، وَمُدَّتُهُ نَحْوَ خَمْسِيْنَ وَمِائَةِ سَنَةٍ.

تَمْتَازُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ بِأَنَّهَا أَغْنَى اللُّغَاتِ كُلَّمَا وَ أَعْرَقُهَا قَدَمًا وَأَخْلَدُهَا أَثَرًا وَأَرْحَبُهَا صَدْرًا وَأَدْوَمُهَا عَلَى غَيْرِ الدَّهْرِ مَحَاسِنَةً وَصَبْرًا وَعَذْبَهَا مَنْطِقًا وَأَسْلِسُهَا أُسْلُوْبًا وَأَوْرَعُهَا تَأْثِيْرًا وَأَغْزَرُهَا مَادَّةً وَأَوْسَعُهَا لِكُلِّ مَا وَقَعَ تَحْتَ الْحِسِّ، مُلاَئِمَةً لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

كَانَتْ لِهَذِهِ اللُّغَةِ عَوَامِلَ النُّمُوِّ وَدَوَاعِى الْبَقَاءِ وَالرُّقَى، مَا قَلَّمَا يَتَهَيَّأُ لِغَيْرِهَا، وَذَلِكَ لِمَا فِيْهَا مِنْ إِخْتِلاَفِ طُرُقِ الْوَضْعِ وَالدِّلاَلَةِ، غَلَبَةِ إِطْرَادِ التَّصَرُّفِ، وَٱلإِشْتِقَاقِ وَتَنَوُّعِ الْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ، وَتَعَدُّدِ الْمُتَرَادِفَاتِ، إِلَى النَّحْتِ وَالْقَلْبِ، وَٱلإِبْدَالِ

وَالتَّعْرِيْبِ، وَلِمَا تَشَرَّفَتْ بِهِ مِنْ وُرُوْدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ بِلِسَانِهَا.

وَمَا رَوَاهُ لَنَا مِنْهَا أَئِمَّةُ اللُّغَةِ وَجَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ وَالْحَدِيْثُ النَّبَوِيْ، هُوَ نَتِيْجَةُ اِمْتِزَاحِ لُغَاتِ الشُّعُوْبِ الَّتِيْ سَكَنَتْ جَزِيْرَةَ الْعَرَبِ. وَلَمْ يَعْلَمْ بِالضَّبْطِ الْوَقْتِ الَّذِيْ تَمَثَّلَتْ فِيْهِ بِصُوْرَتِهَا الْمَعْرُوْفَةِ لَنَا. وَلاَ كُلُّ ٱلأَسْبَابِ الَّتِيْ أَدَّتْ إِلَى اِنْدِمَاجِ لُغَاتِ بَعْضِ هَؤُلاَءِ الشُّعُوْبِ فِيْ بَعْضٍ.

وَغَايَةُ مَا عُلِمَ مِنَ ٱلآثَارِ الْحِجْرِيَّةِ وَبَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ كَانَ جَنُوْبِي الْجَزِيْرَةِ وَشَمَالِيْهَا لُغَاتٌ مُتَمَيِّزَةٌ كُلُّ التَّمَيُّزِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِيْ رُوِيَتْ لَنَا وَدُرِسَتْ وَبُقِيَتْ لَنا مِنْهَا أَشْبَاحٌ تَتَرَاءَ أَحْيَانًا فِيْ بَعْضِ لَهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ٱلأَخِيْرَةِ وَ أَوْجَهِ إِعْرَابِهَا وَاِشْتِقَاقِهَا وَتَرَادُفِ أَلْفَاظِهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِ اِمْتِزَاجِ هَذِهِ اللُّغَاتِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ مَا يَلِيْ :

- هِجْـرَةُ الْقَحْطَـانِيّيْنَ إِلَى جَـزِيْرَةِ الْعَـرَبِ وَمُخَـالَطَتِهِـمْ فِيْـهَا الْعَـرَبُ الْبَائِدَةُ بِالْيَمَـنِ، ثُـمَّ تَمَزُّقِهِـمْ فِيْ بَقَـاءِ الْجَزِيْرَةِ كُلَّ مُمَـزَّقٍ بِظُلْمِهِـمْ بِأَنْفُسِـهِمْ وَتَخَرُّبِ بِلاَدِهِـمْ بِسَيْلِ الْعَرِمِ.

- هِجْـرَةُ إِسْمَاعِيْلَ عَلَيْهِ السَّـلاَمُ إِلَى جَزِيْرَةِ الْعَـرَبِ وَاخْتِلاَطُهُ وَبَنِيْهِ بِالْقَحْـطَانِيّيْنَ بِالْمُصَـاهَـرَةِ وَالْمُجَـاوَرَةِ وَالْمَنَـازِلِ وَالْمَـرَابِعِ وَالْمَحَارِبِ وَالْمُتَاجَرَةِ.

وَأَظْهَـرُ مَـوَاطِنِ هَـذَا ٱلإِمْتِزَاجِ مَشَـاعِـرُ الْحَجِّ وَخَـاصَّـةً بَيْتُ اللَّـهِ الْحَـرَامِ بِمَكَّـةَ بَلَـدِ قُـرَيْشٍ، وَٱلأَسْـوَاقِ الَّتِي تُقِيْمُـهَا الْعَـرَبُ فِيْ أَنْحَاءِ بِلاَدِهَا، مِنْ هَـذِهِ ٱلأَسْوَاقِ سُوْقُ عُكَاظ وَمِجْنَة وَذُو الْمَجَازِ .

الصِّرَاعُ بَيْنَ اللَّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

عَلِمْنَا سَابِقًا أَنَّ ٱلأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ مُنْذُ الْقِدَمِ قَدِ انْتَشَرَتْ فِيْ أَنْحَاءِ جَزِيْرَتِهِمْ الْوَاسِعَةِ وَتَفَرَّعُوْا إِلَى قَبَائِلِ شَتَّى تُقِيْمُ كُلٌّ مِنْهَا فِيْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ مُنْتَقِلَةً مِنْ أَصْقَائِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَتَعَدَّدَتِ الْبِيْئَةُ وَالْمُشَاهَدَاتُ فَانْشَعَبَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى لَهَجَاتٍ تُقَرِّبُ أَوْ تُبَعِّدُ مِنَ ٱلأَصْلِ ٱلأَوَّلِ لَهَا. وَلَمْ تَلْبَثْ هَذِهِ اللَّهَجَاتُ إِنِ اشْتَنْكَبَ فِيْ نِضَالِ غَيْرِ مَحْسُوْسٍ فِيْ أَوَّلِ ٱلأَمْرِ، ثُمَّ اشْتَدَّ أَوْرَاهُ وَتَطَاوَلَ بِهِ الزَّمَنُ وَانْتَهَى إِلَى تَغَلُّبِ لُغَةِ قُرَيْشٍ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ وَ اللَّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ٱلأُخْرَى. وَذَلِكَ لأَخْذِهِمْ مِنْ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ الْوَافِدَةِ عَلَيْهِمْ مَا خَفَّ عَلَى الْكَلاَمِ وَحَسُنَ فِي السَّمْعِ حَتَّى لَطَفَتْ لَهَجَتُهُمْ، جَادَ أُسْلُوْبُهُمْ وَاتَّسَعَتْ لُغَتُهُمْ ِلأَنْ يَنْزِلَ بِهَا خَيْرُ الْكَلاَمِ كَلاَمُ

اللَّهِ وَلِمَكَانِهِمْ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالرِّيَاسَةِ حَاكَاهُمْ شُعَرَاءُ الْقَبَائِلِ وَخُطَبَائُهَا فِي اسْتِعْمَالِ لُغَتِهِمْ لِيَكُوْنَ مَقَالُهُمْ أَسْيَرُ، وَخَبَرُهُمْ أَشْهَرُ .

مِنَ ٱلْأَسْبَابِ الَّتِيْ أَدَّتْ ظَفْرَةُ لُغَةِ قُرَيْشٍ بِالسَّادَةِ وَالْغَلَبَةِ عَلَى اللَّهَجَاتِ ٱلْأُخْرَى، أَهَمُّهَا مَايَأْتِي:

- مَكَانَةُ مَكَّةَ الدِّيْنِيَّةِ

فَقَدْ صَارَ الْبَيْتُ قِبْلَةَ انْظَارِ الْعَرَبِ وَمَعْبَدِهِمْ مُنْذُ عَهْدِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، تَأْتِي إِلَيْهِ ٱلْأُمَمُ مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ – خَاصَّةً فِيْ مَوْسِمِ الْحَجِّ – لِذَاكَ ظَلَّ أَهْلُ مَكَّةَ فِي نَظَرِهِمْ مَنْزِلَةً سَامِيَةً مُقَدَّسَةً، إِذْ هُمْ أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ، وَأَهْلُ الرَّفَادَةِ وَالسِّقَايَةِ، وَالنَّاسُ مُوْلِعُوْنَ دَائِمًا بِتَقْلِيْدِ سَادَتِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ.

بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْمَكَانَةِ الدِّيْنِيَّةِ الْهَامَّةِ اتَّفَقَتِ ٱلْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ تَضَعَ كُلَّ قَبِيْلَةٍ ضَمَنُهَا فِيْ بَيْتِ الْمَعْمُوْرِ ثُمَّ يَأْتُوْنَ إِلَيْهِ حَاجِّيْنَ مُتَقَرِّبِيْنَ فَظَلَّتْ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَكَانَتَهُمُ

الدِّيْنِيَّةَ فِيْ شَكْلٍ آخَرٍ. وَالْعَرَبُ يَفْدُوْنَ إِلَيْهِمْ مِنْ شَتَّى الْأَصْقَاعِ وَيَأْخُذُوْنَ عَنْ لُغَتِهِمُ الْعَذْبَةِ وَ أُسْلُوْبِهِمُ الْجَزْلِ، وَيُحَاوِلُوْنَ مُحَاكَاتَهُمْ وَتَقْلِيْدَهُمْ فِيْ طُرُقِ الْأَدَاءِ وَفِيْ كَثِيْرٍ مْنَ الْأَلْفَاظِ وَالدَّلاَلاَتِ.

- مَنْزِلَةُ مَكَّةَ التِّجَارِيَّةِ

فَقَدْ تَهَيَّأَ لِقُرَيْشٍ مِنْ أَسْبَابِ الثَّرَاءِ مَا مَكَّنَ لَهَا مِنْ جَعْلِ مَكَّةَ الْقَاعِدَةَ التِّجَارِيَّةَ فِي الْجَزِيْرَةِ. وَنَشَطَ الْقُرَيْشِيُوْنَ فِي التَّنَقُّلِ بِتِجَارَتِهِمْ عَبْرَ الصَّحْرَاءِ لاَسِيَمَا بَيْنَ بِلاَدِ الْيَمَنِ جَنُوْبًا، وَالشَّامِ شَمَالاً، وَهُمْ فِيْ أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَعْزُوْنَ بِلُغَتِهِمْ الْمُهَذَّبَةِ سُكَّانَ الْمَنَاطِقِ الَّتِيْ يَنْزِلُوْنَ بِهَا، وَتَحَلُّ هَذِهِ اللُّغَةُ فِيْ نُفُوْسِ هَؤُلاَءِ مَحَلَّ التَّقْدِيْسِ وَالتَّعْظِيْمِ، فَيَحْفِلُوْنَ بِهَا، وَيُقَلِّدُوْنَ كَثِيْرًا مِنْ مُفْرَدَاتِهَا وَأَسَالِيْبِهَا.

- النُّفُوْسُ السِّيَاسِيْ لِقُرَيْشٍ

فَعِنْدَمَا قَوِيَتْ شَوْكَةُ الْقُرَيْشِيِّيْنَ لِسَبَبِ مَكَانَةِ مَكَّةَ الدِّيْنِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ صَارَ لَهُمْ نُفُوْذٌ سِيَاسِيٌّ وَسُلْطَانٌ عَظِيْمٌ اِضَّطَرَّ كَثِيْرًا

مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَى مُخَالَفَتِهِمْ، وَالْأَصْهَارِ إِلَيْهِمْ وَتَحْكِيْمِهِمْ فِيْ خُصُوْمَاتِهِمْ الْمَادِّيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ فَسَاهَمَ ذَلِكَ أَيْضًا فِيْ رَوَاجِ لُغَتِهِمْ وَتَغَلُّبِ لَهْجَتِهِمْ.

- التَّفَوُّقُ الثَّقَافِيْ

فَقَدْ كَانَ الْقُرَيْشِيُوْنَ سُكَّانٌ أَعْظَمُ حَاضِرَةٍ فِيْ بِلاَدِ الْعَرَبِ. تَهَيَّأَ لَهُمْ مِنْ ضُرُوْبِ الثَّقَافَةِ وَالْمَعْرِفَةِ مَالَمْ يَتَهَيَّأْ لِغَيْرِهِمْ فَاسْتَطَاعُوْا النُّهُوْضَ بِلُغَتِهِمْ تَهْذِيْبَ أَسَالِيْبِهِمْ وَالْإِحْتِفَالَ بِطُرُقِ الْأَدَاءِ وَجَمَالِ التَّعْبِيْرِ وَنَقَلُوْا إِلَيْهَا كَثِيْرًا مِنَ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِيْ اسْتَجَادُوْاهَا مِنْ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ الْوَافِدَةِ عَلَيْهِمْ أَوِ الَّتِيْ اتَّصَلُوْابِهَا سِيَاسِيًّا أَوْ تِجَارِيًّا.

أَغْـرَاضُ اللُّغَـةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

تُسْتَعْمَلُ اللُّغَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِأَغْرَاضٍ :

- الْمَعِيْشَـةُ الْبَدَوِيُّـةُ. كَانَتِ اللُّـغَةُ فِيْ هَـذَا الْعَصْـرِ سَـارَتْ مَسَـايِرَةَ عِيْشَـةِ أَهْلِهَا الْبَدَوِيَّـةِ، وَوَصْـفُ مُـرَفِّقُـهَا : مِنْ جَبَـلٍ وَتِرْحَالٍ وَنَتْجِ حَيَوَانٍ وَانْتِجَاعِ كَلاَءٍ وَاسْتِدْرَارِ غَيْثٍ.

- إِثَـارَةُ الْمُنَـازَعَـاتِ وَالْمُشَـاحَنَاتِ وَمَـا يَتَّبِـعُهَا : مِنَ الْحَـضْعَلِيْ إِدْرَاكُ الثَّـأْرِ وَالتَّفَـاخُـرِ بِالْأَنْصَـارِ وَالتَّبَـاهِـيْ بِكَـرَمِ الْأَصْـلِ وَالنَّجَّارِ.

- شَـرْحُ أَحْـوَالِ الْمُشَـاهَـدَاتِ وَالْإِخْبَـارِ عَنِ الْوَقَـائِـعِ وَالْقَـصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلاَئِمُ بِيْئَتَهُمْ وَيُنَاسِبُ طِبَاعَهُمْ.

مَعَانِي اللُّغَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

تُحْمَلُ أَحْوَالُ مَعَانِي اللُّغَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي ٱلْأُمُوْرِ ٱلآتِيَةِ:

- قَصْرُ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ عَلَى مَا تَقْتَضِيْهِ الْبَدَاوَةُ وَالْفِطْرَةُ الْغَضَّةُ الْخَالِيَةُ مِنْ تَكَلُّفِ أَهْلِ الْحَضْرِ وَتَأَنُّقِهِمْ.

- سَيْرُ التَّعَقُّلِ – الْمُسْتَنْبِطُ مِنَ الحِسِّ وَالْمُشَاهَدَةِ أَوِ الطَّبِيْعَةِ أَوِ التَّجْرِبَةِ أَوِ الْوُجْدَانِ – فِيْ طَرِيْقِ غَيْرِ طَرِيْقِ الْمُبَالَغَةِ وَٱلْإِغْرَاقِ.

- إِرْسَالُ التَّخَيُّلِ – الْمُنْتَزِعَةُ صُوَرَهُ مِنَ الْمَحْسُوْسَاتِ – عَلَى وَجْهِ قَلَّمَا يَخْرُجُ عَنِ ٱلْإِمْكَانِ وَالْعَقْلِ الْعَادِيْ.

عِبَارَةُ اللُّغَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

إِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِيْمَا لِلْعَرَبِ مِنْ كَلاَمِهِمْ – نَثْرًا كَانَ أَمْ شِعْرًا –فَنَسْتَطِيْعُ أَنْ نُلَخِّصَ أَحْوَالَ الْعِبَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ فِيْمَا يَلِيْ :

- اسْتِعْمَالُ ٱلأَلْفَاظِ فِيْ مَعَانِيْهَا الْوَضْعِيَّةِ أَوْ فِيْ مَعَانٍ مُنَاسِبَةٍ لِلْمَعْنَى ٱلأَصْلِيْ وَبِطَرِيْقِ الْمَجَازِ الَّذِيْ يُصْبِحُ بَعْدَ غَلَبَةِ ٱلإِسْتِعْمَالِ وَٱلإِلْفِ حَقِيْقَةً جَدِيْدَةً.

- كَثْرَةُ التَّرَادُفِ فِي الْمُفْرَدَاتِ وَالْحَقِّ أَنَّ لأَكْثَرِ ٱلأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ مَعْنًى خَاصًّا لاَ يُؤَدِّيْهِ ٱلآخَرُ بِالدِّقَّةِ.

- قِلَّةُ ٱلأَعْجَمِيْ الْمُعَبِّرُ عَنْهُ بِالْمُعَرَّبِ.

- اِرْسَالُ ٱلأَسَالِيْبِ الْكَلاَمِيَّةِ عَلَى حَسَبِ مَا تَقْتَضِيْهِ الْبَلاَغَةُ بِدُوْنِ تَكَلُّفٍ وَبِدُوْنِ مُرَاعَاةِ مَا تَسْتَلْزِمُهُ الصِّنَاعَةِ الْبَدِيْعِيَّةِ فَلَمْ يَتَعَمَّدُوْا جِنَاسًا وَلَمْ يَتَكَلَّفْ طِبَاقًا وَلَمْ يَقْصُدُوْا إِلَى تَوْرِيَةٍ وَمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ الْمُحْسِنَاتِ الْكَلاَمِيَّةِ.

- خَلْوُ الْكَلاَمِ الْعَرَبِيّ مِنَ اللَّحْنِ لِأَنَّ الْحَقَّ أَنَّ الْعَرَبِيَّ الْقَحَّ لاَ يَلْحِنُ فِيْ لُغَتِهِ.

- شُيُوْعُ ٱلإِيْجَازِ فِيْ كَلاَمِهِمْ.

نَمُوْذَجٌ مِنَ الْخُطْبَةِ الَّتِيْ أَلْقَاهَا
قَيْسُ بْنُ سَاعِدَةِ ٱلإِيَادِي فِيْ سُوْقِ عُكَاظٍ:

أَيُّـهَا النَّـاسُ، اِسْمَعُوْا وَعُـوْا، مَنْ عَـاشَ مَـاتَ، وَمَنْ مَـاتَ فَـاتَ، وَكُلُّ مَنْ هُوَ آتٍ آتٌ، لَيْلٌ دَاجٌ، نَهَارُ سَاجٌ، سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَنُجُوْمٌ تَزْهَـرُ، بِحَـارٌ تَزْخَـرُ، جِبَالٌ مُـرْسَـاةٌ وَأَرْضٌ مُدْحَـاةٌ، وَأَنْهَـارٌ مَجْـرَاةٌ، ِإنَّ فِي السَّمَـاءِ لَخَبَرٌ، وَإِنَّ فِي ٱلأَرْضِ لَعِبَرٌ، مَـا بَـالُ النَّاسِ يَذْهَبُوْنَ وَلاَ يَرْجِعُوْنَ؟ أَرَضُوْا فَأَقَامُوْا .؟ أَمْ تَرَكُوْا فَنَامُوْا؟

ذُو ٱلأُصْبُعِ الْعُدْوَانِيْ دَعَا ابْنَهُ أُسَيْدَ لِيُوَاصِيْهِ فَقَالَ:

يَا بُنَيَّ إِنَّا أَبَاكَ قَدْ فَنَى وَهُوَ حَيٌّ، وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ الْعَيْشِ، وَإِنِّيْ مُوْصِيْكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ : أَلَنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوْكَ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوْكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيْعُوْكَ!

الدرس الثالث

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْ عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلاَمِ

حَالَةُ اللُّغَةِ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ

إِمْتَدَّ هَذَا الْعَصْرِ مِنْ ظُهُوْرِ الْإِسْلاَمِ وَيَنْتَهِيْ بِقِيَامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَةِ [سنة132 هـ]. كَانَ الْعَرَبُ فِيْ أَخْرَيَاتِ جَاهِلِيَّتِهَا بَحَسْبِ أَرْضِهَا أُمَّا بَدَوِيَّةً، وَقَبَائِلَ رَحِالَةٍ، لَيْسَ لَهَا مِنْ وَسَائِلِ الْعُمْرَانِ وَأَسْبَابِ الرَّخَاءِ مَا يَحْمِلُهَا عَلَى تَبَحُّرٍ فِيْ عِلْمٍ أَوْ تَبَصُّرٍ فِيْ دِيْنٍ أَوْ هِيَ تَفَنُّنٍ فِيْ تِجَارَةٍ أَوْ تَدَبُّرٍ فِيْ سِيَاسَةٍ. وَعَلَى وَفْقِ ذَلِكَ كَانَتِ

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لاَ تَعْدُو أَغْرَاضَ الْمَعِيْشَةِ الْبَدَوِيَّةِ وَوَصْفَ مُرَافِقِهَا، وَإِثَارَةِ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُشَاحَنَاتِ إِلاَّ أَنَّ رُوْحًا مِنَ اللَّهِ تَنْسِمُ بَيْنَ أَرْجَائِهَا فَأَيْقَظُهَا مِنْ رُقُوْدَتِهَا وَنَبَّهَهَا لِضَرُوْرَةِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْخَيْرِ فِيْ مَعَاشِهَا وَلُغَتِهَا وَجَمَاعَاتِهَا. فَظَهَرَ ذَلِكَ بَيِّنًا فِي ٱلأَسْوَاقِ التِّجَارِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ ٱلإِجْتِمَاعِيَّةِ وَٱلإِذْعَانِ فِيْهَا إِلَى حُكُوْمَةِ ٱلأَشْرَافِ وَالْفَصَاحَةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَمِيْمٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا هَيَّأَهُمْ لِأَنْ يَجْتَمِعُوْا تَحْتَ لِوَاءٍ وَاحِدٍ وَيَتَفَاهَمُوْنَ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ. فَكَانَ ذَلِكَ إِيْذَانًا مِنَ اللَّهِ بِإِظْهَارِ ٱلإِسْلاَمِ فِيْهِمْ.

فَكَانَ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمُ الَّذِيْ نَزَّلَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى مُوَحِّدًا لِكَلِمَاتِهِمْ مُهَذِّبًا لْطِبَاعِهِمْ، مُنْشِئًا لَهُمْ تَنْشِئَةً جَدِيْدَةً مُبَيِّنًا طَرِيْقَ الْحَقِّ بِشَرِيْعَةٍ عَظِيْمَةٍ تَتَمَثَّلُ فِيْ كَلاَمِ اللَّهِ وَكَلاَمِ رَسُوْلِهِ، فَكَانَ مِنْ نَتِيْجَةِ ذَلِكَ أُسِّسَتْ لَهُمْ جَامِعَةٌ قَوْمِيَّةٌ وَمُلْكٌ كَبِيْرٌ.

مِنَ ٱلأَسْبَابِ الَّتِيْ حَثَّتِ ٱلأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى تَوْطِيْدِ قَوْمِيَّتِهِمْ وَحَيَاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ مَا يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِيْمَا يَلِي :

ٱلأَوَّلُ : شُيُوْعُ اللُّغَةِ ثُمَّ تُوَحِّدُ لُغَاتَ الْعَرَبِ وَتُمَثِّلُهَا جَمِيْعَهَا فِيْ لُغَةِ قُرَيْشٍ وَإِنْدِمَاجِ سَائِرِ اللَّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِيْهَا. وَبَعْضُ أَسْبَابِ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَ ٱلإِسْلاَمِ بِتَأْثِيْرِ ٱلأَسْوَاقِ وَالْحَجِّ وَأَكْثَرُهَا يَرْجِعُ إِلَى نُزُوْلِ الْقُرْآنِ بِلُغَتِهِمْ.

الثَّانِيْ : إِنْتِشَارُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِيْ مَمَالِكِ الْفُرْسِ وَالرُّوْمِ وَغَيْرِهِمَا بِالْفُتُوْحَاتِ وَالْمَغَازِيْ وَهِجْرَةِ قَبَائِلِ الْبَدْوِ إِلَيْهَا وَاسْتِيْطَانِهِمْ لَهَا وَاخْتِلاَطِهِمْ بِأَهْلِهَا وَتَقَرُّبِ هَؤُلاَءِ ٱلأَعَاجِمِ إِلَيْهَا بِتَعْلِيْمِ لُغَتِهِمْ وَالدُّخُوْلِ فِيْ دِيْنِهِمُ الْمُسْتَمِدِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَرَبِيْ الْمُبِيْنِ.

الثَّالِثُ : ظُهُوْرُ اللَّحْنِ فِي الْكَلاَمِ بَيْنَ الْمُسْتَعْرَبِيْنَ مِنَ الْمَوْلَى وَأَبْنَاءِ الْعَرَبِ.

الرَّابِعُ : إِتِّسَاعُ أَغْرَاضِ اللُّغَةِ بِسُلُوْكِهَا مَنْهَجًا دِيْنِيًّا، وَتَتَّضِحُ فِيْمَا يِلِيْ :

- تَبْيِيْنُ الْعَقَائِدِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِيْ جَاءَ بِهَا ٱلإِسْلاَمُ.

- تَبْيِيْنُ الشَّـــرِيْعَةِ وَاسْـتِنْبَاطُ ٱلأَحْـكَامِ الْمُـــلاَئِمَـةِ ِلأَحْـوَالِ الـزَّمَـانِ وَالْمَكَانِ وَالْكَفَـالَةِ لِحُسْـنِ مَعِيْشَـةِ الْمَـرْءِ فِيْ مَنزِلِهِ، وَمُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ وَالسُّلْطَانِ.

- إِسْـتِعْمَالُهَا فِيْ ضَـبْطِ أُمُـوْرِ الْمُلْكِ وَالْعُمْـرَانِ وَنَشْـرِ ٱلأَمْنِ وَالْعَدْلِ.

- وَضْـعُ مَبَادِئِ بَعْـضِ الْعُلُـوْمِ وَتَرْجَمَـةِ الْعُلُـوْمِ الطَّبِيْعَـةِ وَالرِّيَاضَـةِ

الْخَامِسُ : اِرْتِقَـاءُ الْمَعَـانِيْ، وَيَظْهَـرُ ذَلِكَ فِيْ ٱلأُمُـوْرِ ٱلآتِيَةِ :

- اتِّسَـاعُ مَـادَّةِ الْمَعَـانِيْ بِـاتِّسَـاعِ مَـادَّةِ الْمُشَـاهَـدَاتِ وَالْمَعْقُـوْلاَتِ.

- حُسْـنُ نِظَامِهَا وَمُرَاعَاةِ الْوِفَـاقِ بَيْنَهِـمَا.

السَّادِسُ : تَغَيُّرُ ٱلأَلْفَـاظِ وَٱلأَسَالِيْبِ فِيْمَا يَلِي:

- تَهْذِيْبُ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ بِمُحَاكَاةِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ التَّوَسُّعِ فِيْ دِلاَلَةِ اْلأَلْفَاظِ.

- مَوْتُ أَلْفَاظِ خَطَرِ الشَّائِعِ اسْتِعْمَالِ مَدْلُوْلاَتِهَا أَوْ أَعَاضَ مِنْهَا غَيْرُهَا كَالْمُرَبَّعِ وَالنَّشِيْطَةِ وَالْفُضُوْلِ.

- دُخُوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ اْلأَلْفَاظِ اْلأَعْجَمِيَّةِ فِي الْكَلاَمِ وَتُسَمَّى حِيْنَئِذٍ مُعْرَبَةٌ.

- التَّأَنُّقُ فِيْ صَوْغِ اْلأَسَالِيْبِ وَالتَّفَنُّنِ فِيْ أَنْوَاعِهَا وَإِحْكَامِ نَظْمِهَا.

الْقُـرْآنُ الْكَـرِيْمُ وَأَثَرُهُ فِي اللُّغَـةِ

الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ كَلاَمُ اللَّـهِ الْمُنَزَّلُ عَلَى لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ، فِيْهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ وَدَلاَئِـلٌ وَاضِحَـةٌ وَأَخْـبَارٌ صَـادِقَـةٌ وَمَـوَاعِـظٌ رَائِعَـةٌ وَشَـرَائِعٌ رَقِيَّةٌ وَآدَابٌ عَـالِيَةٌ. هَـذِهِ الْمُحْتَوِيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ تُعَبَّرُ بِعِبَارَاتٍ تُأْخَـذُ بِالْأَسَـالِيْبِ لَيْسَ لِأَحَـدٍ مِنَ الْبَشَـرِ بَالِغًـا مَـا بَلَـغَ مِنَ الْفَصَـاحَةِ وَالْبَـلاَغَـةِ أَنْ يَـأْتِيْ بِمِثْـلِهَا. فَهُـوَ آيَـاتُ اللَّـهِ الدَّائِمَـةُ وَحُجَّـتُهُ الْخَـالِدَةُ. فَتَحِـدُّ الْعَـرَبُ عَلَى أَنْ يَأْتُوْا بِمِثْـلِهِ فَنَكَصُـوْا، ثُـمَّ بِعَشْـرِ سُـوَرٍ مِثْـلِهِ فَعَجَـزُوْا، ثُـمَّ بِسُـوْرَةٍ مِثْلِـهِ فَـانْقَطَعُـوْا، فَحَـقَّ عَلَيْـهِمْ إِعْجَـازَهُ كَمَا قَالَ تَعَـالَى : [قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْـسُ وَالْجِـنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوْا بِمِثْـلِ هَـذَا الْقُـرْآنِ لاَ يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْـضٍ ظَهِـيْرًا].

وَكَانَ الْقُـرْآنُ الْكَـرِيْمُ مُنْـذُ عَهْـدِ نُزُوْلِهِ آثَارٌ مَـا لَمْ يُؤْثَـرْهُ أَيُّ كِتَابٍ سَـمَوِيًّا كَانَ أَوْ غَـيْرِ سَمَـوِيٍّ فِي اللُّغَـةِ الَّتِيْ كَانَ بِهَا إِذْ ضَمَـنَ لَهَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَعُمْـرًا طَوِيْلاً فَأَصْبَحَتْ هِيَ اللُّغَـةُ الْحَيَّةُ الْخَالِدَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللُّغَـاتِ الْقَـدِيْمَةِ الَّتِيْ اِنْطَمَسَتْ آثَـارُهَا وَصَـارَتْ فِيْ عَـدَادِ اللُّغَـاتِ التَّارِخِيَّةِ ٱلأَثَرِيَّةِ وَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ عُلُوْمًا جَمَّةً وَفُنُوْنًا شَتَّى، لَوْلاَهُ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ وَلَمْ يَخْطُهَا قَلَمٌ.

وَقَدْ أَحْـدَثَ الْقُـرْآنُ الْكَـرِيْمُ اِنْقِلاَبًا شَـامِلاً فِيْ حَيَاةِ الْعَـرَبِ السِّـيَاسِـيَّةِ وَٱلإِجْتِمَـاعِـيَّةِ وَالْفِكْـرِيَّةِ وَالدِّيْنِـيَّةِ. هَـذِهِ ٱلإِنْقِـلاَبَاتُ تَتَصَـوَّرُ فِيْمَا يَلِيْ :

- هَجْـرُ الْحُوْشِيْ مِنَ ٱلأَلْفَاظِ، وَوُضُـوْحُ ٱلأَسَـالِيْبِ، وَٱلأَدَبُ فِي الْخِطَابِ وَاخْتِيَـارِ ٱلأَلْفَـاظِ الْجَـزْلَةِ وَالْعِبَارَاتِ الدَّقِيْقَـةِ فِي الدَّعْـوَةِ لِلدِّيْنِ وَتَبْصِـيْرِ النَّاسِ بِأَحْكَـامِ الشَّـرِيْعَةِ، وَٱلإِكْثَارُ مِنَ الْحِكْـمَةِ وَضَـرْبِ الْمَثَـلِ مَجَـارَاةً ِلأُسْـلُوْبِ الْقُـرْآنِ وَحَـدِيْثِ الـرَّسُـوْلِ الْكَـرِيْمِ.

- أَهْمَلَ ٱلإِسْلاَمُ بَعْضَ ٱلأَلْفَاظِ ٍلاِيْطَالِ مَعَانِيْهَا نَحْوَ الْمِرْبَاعِ وَهُوَ رُبْعُ الْغَنِيْمَةِ، النَّشِيْطَةُ وَهِيَ مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمُغِيْرُوْنَ فِيْ طَرِيْقِهِمْ، الْفُضُوْلُ وَهِيَ مَا فَضَلَ مِنَ الْغَنِيْمَةِ عِنْدَ الْقِسْمَةِ.

- نَقْلُ كَثِيْرٍ مِنْ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ إِلَى مَعَانٍ مُسْتَحْدَثَةٍ كَالصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَجَمِيْعِ ٱلأَلْفَاظِ ٱلإِصْطِلاَحِيَّةِ مِنْ شَرِيْعَةٍ وَغَيْرِهَا كَالْخَلِيْفَةِ وَالإِمَامِ وَالشُّرْطَةِ وَالْمُرْتَزِقَةِ وَالْمُتَطَوَّعَةِ.

- اِسْتِحْدَاثُ أَلْفَاظٍ وَأَسَالِيْبٍ لَمْ يَنْطِقُ بِهَا الْعَرَبُ قَبْلَ ٱلإِسْلاَمِ كَالْجَاهِلِيَّةِ لِلزَّمَنِ الَّذِيْ قَبْلَ البِعْثَةِ، وَالْمُنَافِقِ لِمَنْ دَخَلَ فِي ٱلإِسْلاَمِ بِلِسَانِهِ دُوْنَ قَلْبِهِ، وَالْفَاسِقِ لِلْعَاصِيْ وَغَيْرِهَا.

- وَجَّهَ ٱلإِسْلاَمُ أَنْظَارَ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ وَحَثَّهُمْ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّزَوُّدِ بِضُرُوْبِ الثَّقَافَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَأَقْبَلُوْا عَلَى البُحُوْثِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ، وَتَرْجَمُوْا كَثِيْرًا مِنَ الْعُلُوْمِ وَالْفُنُوْنِ مِنْ لُغَاتٍ عِدَّةٍ، وَنَقَلُوْا مَعَ هَذِهِ التَّرَاجِمِ كَثِيْرًا مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ ٱلأَجْنَبِيَّةِ بَعْدَ أَنْ صَقَلُوْا وَهَذَّبُوْا

وَأَخْضَعُوْهَا لِمَنَاهِجِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيّ، أَوْ مَا يُقَرِّبُ مِنْهَا كَالْفَلْسَفَةِ وَالْهُيُوْلِيْ، وَالْعَسْكَرِ وَالدِّيْوَانِ.

- اتَّسَعَتْ أَغْرَاضُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ اِتِّسَاعًا لَمْ تَظْفَرْ بِهِ لُغَةٌ أُخْرَى، وَعُوْلِجَتْ بِهَا أُمُوْرٌ دَوْلَةٍ شَائِعَةٍ، مِنْ تَشْرِيْعٍ وَتَقْنِيْنٍ، وَعَقَائِدٍ وَنَظْمٍ سِيَاسِيَّةٍ وَإِجْتِمَاعِيَّةٍ، وَبُحُوْثٍ عِلْمِيَّةٍ، وَقَضَاءٍ وَجَدَلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

- اِنْتَشَرَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ بَيْنَ أُمَمٍ كَثِيْرَةٍ، وَكَثُرَ عَدَدُ الْمُتَكَلِّمِيْنَ بِهَا لِأَنَّهَا لُغَةُ الدِّيْنِ وَكِتَابِهِ وَهَدْيِ رَسُوْلِهِ.

حَرَكَةُ التَّدْوِيْنِ وَالتَّصْنِيْفِ

لَمْ يَهْتَمِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُوْنَ بِالتَّدْوِيْنِ وَالتَّصْنِيْفِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ. وَمَرْجَعُ النَّاسِ حِيْنَذَاكَ فِيْ أَمْرِ دِيْنِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُوْلِهِ. فَإِذَا اِشْتَبَهَ أَمْرٌ مِنْ أُمُوْرِ الدِّيْنِ رَجَعُوْا إِلَى الْخُلَفَاءِ وَفُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ أَوِ اسْتَخَارُوْا اللَّهَ وَاسْتَظْهَرُوْا بِإِجْتِهَادِهِمْ رَأْيًا عَلِمُوْا بِهِ. وَمِنْ سَبَبِ عَدَمِ التَّدْوِيْنِ وَكِتَابَةِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَفَتَاوَى الصَّحَابَةِ خَشْيَةً أَنْ يَجُرُّهُمْ ذَلِكَ إِلَى ٱلْإِعْتِمَادِ عَلَى الْكُتُبِ وَإِهْمَالِ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَالسُّنَّةِ وَلأَنَّ الْكِتَابَ عُرْضَةً لِلضِّيَاعِ وَالتَّصْحِيْفِ وَالتَّحْرِيْفِ.

ثُمَّ لَمَّا انْتَشَرَ ٱلْإِسْلاَمُ زَمَنَ بَنِيْ أُمَيَّةٍ فِيْ مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَاخْتَلَطَتِ الْعَرَبُ بِٱلْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ ٱلْأَعَاجِمِ،

فَفَسَدَتْ مُلْكَةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيّ وَفَشَا اللَّحْنُ، وَاشْفَقُوْا عَلَى الْقُرْآنِ مِنَ التَّحْرِيْفِ، وَعَلَى اللُّغَةِ مِنَ الْفَسَادِ دَوَّنُوا النَّحْوَ. وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيْهِ أَبُوا ٱلأَسْوَدِ الدُّؤَلِيْ، وَقَدْ أَخَذَ مَبَادِئَهُ عَنِ ٱلإِمَامِ عَلِيْ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَأَخَذَ عَنْهُ فِتْيَانَ الْبَصْرَةِ وَخُصُوْصًا الْمَوَالِيْ، إِذْ كَانُوْا أَحْوَجَ النَّاسِ إِلَى النَّحْوِ، وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْكُوْفَةِ بِهِ بَعْدَ أَنْ فَشَا بِالْبَصْرَةِ.

ثُمَّ لَمَّا حَدَثَتِ الْفِتَنُ وَتَعَدَّدَتِ الْمَذَاهِبُ وَالنِّحَلُ وَكَثُرَتِ ٱلأَقْوَالُ وَالْفَتَاوَى وَالرُّجُوْعِ فِيْهَا إِلَى الرِّجَالِ وَالرُّؤَسَاءِ وَمَاتَ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ، خَافُوْا أَنْ يَعْتَمِدُوا النَّاسُ عَلَى رُؤَسَائِهِمْ وَيَتْرُكُوْا سُنَّةَ رَسُوْلِ اللَّهِ، فَأَذِنَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ بْنُ عَبْدُ الْعَزِيْزِ ◌ِلأَبِيْ بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ حَزْمٍ فِيْ تَدْوِيْنِ حَدِيْثِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنِ اسْتَخَارَ اللَّهَ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا فِيْ كِتَابٍ يَعْثُ بِهِ عُمَرُ إِلَى ٱلأَمْصَارِ. وَانْقَضَى هَذَا الْعَصْرُ وَلَمْ يُدَوَّنْ فِيْهِ مِنْ عُلُوْمِ اللُّغَةِ وَالدِّيْنِ غَيْرِ النَّحْوِ وَبَعْضِ الْحَدِيْثِ وَبَعْضِ التَّفْسِيْرِ.

وَأَمَّا الْعُلُوْمُ ٱلأُخْرَى فَيَرَى أَنَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيْدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ حَبَّبَ إِلَيْهِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ ٱلأَوَائِلِ مِنَ الْيُوْنَانِ فَتُرْجَمَتْ لَهُ وَنَبَغَ فِيْهَا وَوَضَعَ كِتَابًا فِي الطِّبِّ وَالْكِيْمِيَا وَأَنَّ مُعَاوِيَةُ اسْتَقْدَمَ عُبَيْدَ بْنَ شَرِيَّةَ مِنْ صَنْعَاءِ فَكَتَبَ لَهُ كِتَابَ [الْمُلُوْكِ وَأَخْبَارِ الْمَاضِيْنَ] وَأَنَّ وَهَبْ بْنَ مُنَبَّة الصَّنْعَانِيْ وَمُوْسَى بْنَ عُقْبَةَ كَتَبَا فِيْ ذَلِكَ أَيْضًا كِتَابًا وَأَنَّ زِيَادًا وَضَعَ لِابْنِهِ كِتَابًا فِيْ مِثْلٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ.

نَمُوْذَجٌ مِنَ الْخُطَبِ وَالْوَصَايَا

خَطَبَ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَحَمِدَ اللَّـهَ بِمَا هُـوَ أَهْـلُهُ ثُمَّ أَقْبَـلَ عَلَى النَّاسِ فَقَـالَ : أَيُّـهَا النَّـاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَـالِمَ فَانْتَهُـوْا إِلَى مَعَـالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَـكُمْ نِهَـايَةٌ فَانْتَهُـوْا إِلَى نِهَـايَتِكُمْ، فَـإِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ مُخَـافَتَيْنِ : أَجَـلٌ قَـدْ مَضَى لاَ يَـدْرِيْ مَـا اللَّـهُ فَـاعِلٌ فِيْهِ، وَأَجَـلٌ بَاقٌ لاَ يَـدْرِيْ مَـا اللَّـهُ قَـاضٍ فِيْهِ، فَلْيَأْخُـذْ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِـهِ لِنَفْسِـهِ، وَمِنْ دُنْيَـاهُ لآخِـرَتِهِ، وَمِنَ الشَّـبِيْبَةِ قَبْلَ الْكِـبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْـلَ الْمَمَـاتِ، فَوَالَّـذِيْ نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَدِهِ مَـا بَعْدَ الْمَـوْتِ مِنْ مُسْتَعْتِبٍ وَمَا بَعْـدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ.

خَطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدُ الْعَزِيْزِ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ أَصْلِحُوْا سَرَائِرَكُمْ، تَصْلُحُ لَكُمْ عَلاَنِيَتُكُمْ، أَصْلِحُوْا آخِرَتَكُمْ تَصْلُحُ دُنْيَاكُمْ.

أَوْصَى قَيْسُ بْنُ عَاصِم بَنِيْهِ عِنْدَ احْتِضَارِهِ:

يَا بَنِيَّ اِحْفَظُوْا عُنِّيْ ثَلاَثًا فَلاَ أَحَدَ أَنْصَحُكُمْ مِنِّيْ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَسُوْدُوْا كِبَارَكُمْ وَلاَ تَسُوْدُوْا صِغَارَكُمْ، فَيَحْقِرُ النَّاسُ كِبَارَكُمْ، وَتَهُوْنُوْا عَلَيْهِمْ، وَعَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْمَالِ فَإِنَّهُ مُنَبِّهَةٌ لِلْكَرِيْمِ، وَيَسْتَغْنِيْ بِهِ عَنِ اللَّئِيْمِ، وَإِيَّاكُمْ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الْجَيْلِ.

الدرس الرابع

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيْ

نَظْرَةٌ إِجْمَالِيَّةٌ فِي الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ

قَامَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ عَلَى أَنْقَاضِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، نَتِيْجَةَ الثَّوْرَاتِ الْمُتَوَاصِلَةِ الَّتِيْ أَدَّتْ إِلَى ضَعْفِهَا وَسُقُوْطِ آخَرِ خُلَفَاءِ بَنِيْ أُمَيَّةِ فِيْ مَعْرَكَةِ الزَّابِ شَمَالِ الْعِرَاقِ عَامِ ١٢٣مِنَ الْهِجْرَةِ، وَانْتَهَتْ بِذَلِكَ الْخِلَافَةُ الْأُمَوِيَّةُ، وَقَامَتْ خِلَافَةُ الْعَبَّاسِيِّيْنَ الَّذِيْنَ يَنْتَسِبُوْنَ إِلَى جَدِّهِمُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ عَاشَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ مَا يَزِيْدُ عَلَى خَمْسَةِ قُرُوْنٍ، فَقَدْ قَامَتْ سَنَةُ 132 هـ وَانْتَهَتْ عِنْدَمَا قَضَى عَلَيْهَا الْمُغُوْلُ حِيْنَ سَقَطَتْ بَغْدَادُ عَاصِمَةُ الْخِلاَفَةِ سَنَةُ 656 هـ، وَكَانَ لِهَذَا الْعَصْرِ الْطَوِيْلِ تَأْثِيْرٌ فِيْ تَنَاوُعِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ خِلاَلَهُ.

الْحَيَاةُ السِّيَاسِيَّةُ

أَوَّلاً : صَارَتْ بَغْدَادُ عَاصِمَةُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بَدَلاً مِنْ دِمَشْقِ، وَازْدَهَرَتِ الْحَيَاةِ فِيْهَا، وَصَارَ يَؤُمُّهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

ثَانِيًا : غَلَبَ الطَّابِعُ الْفَارِسِيّ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، عَلَى النَّقِيْضِ مِمَّا كَانَ فِيْ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ إِذْ كَانَ طَابِعُ الْخِلاَفَةِ الْأُمَوِيَّةِ عَرَبِيًّا خَالِصًا.

ثَالِثًا : أَخَذَ الْعَبَّاسِيُّوْنَ عَنِ الْفُرْسِ نِظَامَ الْوِزَارَةِ، وَقَلَّدُوْهُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ أَنْظِمَةِ الْحُكْمِ حَتَّى فِي الزِّيِّ وَالْمَلْبَسِ. كَمَا ظَهَرَ ذَلِكَ فِيْ أَزْيَاءِ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ وَالْقُضَاةِ وَالْمُوَظَّفِيْنَ.

رَابِعا : تَمَيَّزَ الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيّ – وَخَا صَّةً فِي النِّصْفِ الثَّانِيْ مِنْهُ –بِالتَّفَكُّكِ وَالْإِنْقِسَامِ وَتَعَدُّدِ الدَّوْلِيَاتِ كَا الْحَمْدَانِيَّةِ فِي الشَّامِ، وَالْفَاطِمِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَالْبُوَيْهِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ، وَالسَّاسَانِيَّةِ فِيْ فَارِسِ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ الْحَيَاةَ لَمْ تَهْدَأْ لِلْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّيْنَ، فَقَدْ ظَهَرَ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ عِدَّةَ ثَوْرَاتٍ وَفِتَنٍ كَفِتْنَةِ الْقَرَامِطَةِ قُتِلَ فِيْهَا خَلْقٌ كَثِيْرٌ، وَجَرَّدَ الْخُلَفَاءُ ضِدَّهُمْ الْحَمَلاَتِ الْقَمْعِيَّةَ، وَحَارَبُوْهُمْ بِالسَّيْفِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلَمِ، حَتَّى أَظْهَرُوْا حَقِيْقَةَ فَسَادِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ.

وَلَمْ تَدَمِ الْحَالُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، إِذْ حَدَثَ تَحَوُّلٌ خَطِيْرٌ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، فَقَدْ ضَعَفَ الْعُنْصُرِ الْفَارِسِيّ وَحَلَّ مَحَلَّهُ الْعُنْصُرِ التُّرْكِيْ، وَذَلِكَ فِيْ بِدَايَةِ حُكْمِ الْمُعْتَصِمِ الَّذِيْ تَوَلَّى الْخِلاَفَةَ بَعْدَ الْخَلِيْفَةِ الْمَأْمُوْنِ سَنَةَ 218 هـ، وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ بِدَايَةَ لِمَا اصْطَلَحَ عَلَى تَسْمِيَةِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ الثَّانِيْ، عِنْدَمَا اخْتَلَفَتْ مَلاَمِحُ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ الْخَلِيْفَةُ الْمُعْتَصِمُ عَلَى الْعُنْصُرِ التُّرْكِيْ، وَبَنَى لَهُمْ مَدِيْنَةَ سَامَرَّاءِ

وَاسْتَبَدَّ ٱلأَتْرَاكُ الْحُكْمَ فِيْ عَهْدِ الْخَلِيْفَةِ الْوَاثِقِ حَتَّى إِنَّهُ لاَيُوَلَّى إِلاَّ مَنْ وَافَقَ هَوَاهُمْ. وَتدْهُوْرَتِ ٱلأَحْوَالُ وَنَشَبَتِ الْفِتَنُ وَخَاصَّةً بَعْدَ اِغْتِيَالِ الْمُتَوَكِّلِ. وَاسْتَمَرَّ هَذَا الضَّعْفُ فِيْ الْعَبَّاسِيِّيْنَ حَتَّى اِسْتَطَاعَ الْمُغُوْلُ ٱلاِسْتِيْلاَءَ عَلَى بَغْدَادِ سَنَةَ 656 هـ، فَسَقَطَتِ الْخِلاَفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ.

الْحَيَاةُ ٱلإِجْتِمَاعِيَّةُ

كَانَتِ الْحَيَاةُ ٱلإِجْتِمَاعِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ بِشَكْلٍ عَامٍّ حَيَاةٌ تَرَفٌ وَنَعِيْمٌ، يَكَادُ ٱلأَمْرُ كُلُّهُ يَشْمَلُ جَمْيْعَ طَبَقَاتِ الْمُجْتَمَعِ كُلٍّ بَحَسْبِ طَبَقَتِهِ، فَكَانَ يَغْدِقُوْنَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَٱلأُدَبَاءِ ٱلأَمْوَالَ مِمَّا شَجَعَ عَلَى اِزْدِهَارِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ.

وَلَقَدْ زَاوَلَ الْمُتْرِفُوْنَ وَسَائِلَ التَّرْوِيْحِ عَنِ النَّفْسِ مِثْلُ سِبَاقِ الْخَيْلِ وَسِبَاقِ الْحَمَامِ الزَّاجِلِ وَلُعْبَةِ الصَّوْلَجَانِ وَالشَّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ وَأَحَبُّوْا صَيْدَ الطُّيُوْرِ وَالْغُزْلاَنِ وَغَيْرِهَا.

وَطَبَقَةُ الْعَامَّةِ عَاشَتْ فِي الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ، تَتَحَمَّلَ أَعْبَاءَ الْحَيَاةِ الْبَائِسَةِ، وَكَانَ لِلْعَامَّةِ مَلاَهِيْهِمْ مِثْلُ مُشَاهَدَةِ الْقَرَّادِيْنِ،

وَالْإِسْتِمَاعِ إِلَى الْقَصَصِ وَالْحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ، وَتَدَاوُلِ الْأَسَاطِيْرِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَدْ تَوَلَّدَ عَنْ هَذِهِ الْمَجَالِسِ فِيْمَا تِلْكَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُوْرَةِ مِثْلُ "أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٌ، وَالسِّيْرَةُ الشَّعْبِيَّةُ."

وَلَقَدْ بَرَزَتْ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِي عِدَّةَ مَظَاهِرٍ تَتَمَثَّلُ فِي :

- ظُهُوْرُ طَبَقَتَيْنِ مُتَغَايِرَتَيْنِ فِي الْمُجْتَمَعِ : طَبَقَةٌ تَنْعَمُ بِالرَّخَاءِ وَسَعَةِ الْعَيْشِ، وَأُخْرَى تَجِدُ صُعُوْبَةً فِيْ حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ.

- اِزْدِهَارُ حَرَكَةِ الْعُمْرَانِ، مِنْ بِنَاءِ الْقُصُوْرِ الْفَاخِرَةِ، وَالْمَسَاجِدِ الْفَخْمَةِ، وَتَزْيِيْنِ الْعَاصِمَةِ زِيْنَةً لَمْ تَلْقَهَا مَدِيْنَةٌ أُخْرَى.

- اِزْدِهَارُ فَنِّ الْغِنَاءِ، وَكَثْرَةِ الْمُوْسِقِيِّيْنَ، وَتَطَوُّرِ آلاَتِهِمْ وَأَلْحَانِهِمْ.

- اِزْدِيَادُ وَهْجِ نِيْرَانِ الشُّعُوْبِيَّةِ الَّتِيْ لَمْ تَعُدِ الْمُفَاضَلَةِ فِيْهَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ، بَلْ تَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الشُّعُوْبِ الْأُخْرَى.

وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ مُجْتَمَعٌ بَهْوٌ وَتَرَفٌ وَفَقَدْ كَانَ الْمُجْتَمَعُ مُجْتَمَعًا إِسْلاَمِيَّةً، وَكَانَتِ الْغَالِبَةُ فِيْهِ مُقِيْمَةً عَلَى الْإِسْلاَمِ

مُتَمَسِّكَةً بِفَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ وَشَعَائِرِهِ، فَكَانَتْ سَاخِطَةً عَلَى مَظَاهِرِ اللَّهْوِ وَالتَّرَفِ وَالشُّعُوْبِيَّةِ.

أَثَرُ الْحَضَارَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِيْ أَحْوَالِ اللُّغَةِ

كَانَ بَنُوْ أُمَيَّةِ شَدِيْدِي التَّعَصُّبِ لِلْعَرَبِ وَ الْعَرَبِيَّةِ، فَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِيْ دَوْلَتِهِمْ عَرَبِيُّ الصِّبْغَةِ، وَكَانَتْ جَمْهَرَةُ الْعَرَبِ مُنْتَشِرَةً فِيْ كُلِّ مَكَانٍ اِمْتَدَّ إِلَيْهِ سُلْطَانُهَا. فَلَمَّا قَامَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بِدَعْوَتِهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا مِنَ الْعَرَبِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا مِثْلُ مَنْ وَجَدَتْ مِنْ الْفُرْسِ وَأُمَمِ الْأَعَاجِمِ، فَاكْتَسَحَتْ بِهِمْ دَوْلَةٌ قَوِيَّةٌ كَانَ أَكْثَرُ النُّفُوْذِ فِيْهَا الْمَوْلَى فَاسْتَخْدَمَهُمُ الْخُلَفَاءُ وَالْأُمَرَاءُ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ سِيَاقَةِ الْمَاءِ إِلَى قِيَادَةِ الْجُيُوْشِ وَالْوِزَارَةِ. وَأَخَذَ شَأْنَ الْعَرَبِ السِّيَاسِيِّ يَتَضَائَلَ مِنْ ذَلِكَ الْحِيْنِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى ضَعَفَتِ النَّعْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْهِمْ، وَخَمَدَتْ جَذْوَةُ التَّبَاهِيْ بِكَرَمِ الْأَصْلِ وَالنَّجَّارِ

بَيْنَهُمْ، بِحَيْثُ لَمْ يَمْضِ قَرِيْبٌ مِنْ قَرْنٍ عَلَى تَكْوِيْنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لِعَرَبِ الْمَشْرِقِ فِي السِّيَاسِيَّةِ شَأْنٌ يُذْكَرُ، وَقَطَعَتْ أَرْزَاقُهُمْ مِنْ دِيْوَانِ الْجُنْدِ، وَانْدَمَجُوْا فِيْ غَمَارَةِ الْعَامَّةِ، وَاشْتَغَلُوْا بِالصِّنَاعَةِ وَالْفَلاَحَةِ وَالْحِرَفِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَاخْتَلَطُوْا بِالْأَعَاجِمِ بِالتَّصَاهُرِ وَالتَّجَاوُرِ، وَانْغَرُوْا فِيْ مَدِيْنَةِ الْفُرْسِ وَحَضَارَتِهَا أَيَّمَا انْغِمَارٍ.

فَكَانَ مِنَ الْمَجْمُوْعِ شَعْبٌ مُمْتَزُّ لُغَةٍ وَعَادَةٍ وَخُلُقًا وَاعْتِقَادًا وَفِكْرًا وَخَيَالاً، فَأَثَّرَ ذَلِكَ تَأْثِيْرًا بَيِّنًا فِي اللُّغَةِ لَفْظًا وَمَعْنًى وَشِعْرًا وَنَثْرًا وَكِتَابَةً وَتَأْلِيْفًا. وَلَمْ يَظْهَرْ ذَلِكَ بِالطَّبْعِ فِيْ جَمِيْعِ الْمَمَالِكِ بِنِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ كَانَ فِيْ أَوَاسِطِ آسِيَا أَظْهَرَ مِنْهُ فِيْ مِصْرَ وَالشَّامِ. أَمَّا حَالُ مَمَالِكِ الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ صَدْرَ هَذَا الْعَصْرِ فَلَمْ تَبْعُدْ كَثِيْرًا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْعَصْرِ الْمَاضِيْ. يُمْكِنُ تَقْرِيْبَ ذَلِكَ بِأَنَّ كُلَّ تَغَيُّرٍ فِي لُغَةٍ أَوْ اِخْتِرَاعٍ لِفَنٍّ أَوْ عِلْمٍ فِي الْمَشْرِقِ كَانَ أَثَرُهُ يَظْهَرُ فِي الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ نِصْفِ قَرْنٍ أَوْ يَزِيْدُ قَلِيْلاً، إِلاَّ أَنَّ الصِّبْغَةَ الْعَرَبِيَّةَ كَانَ مَرْعِيَّةً بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْجُمْلَةِ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ فِيْ أَفْرِقِيَّةَ مِنْ مَمَالِكِ مُعْظَمُ هَذَا الْعَصْرِ.

أَغْرَاضُ اللُّغَةِ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ

إِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْ صَدْرِ الْإِسْلاَمِ تَقْرُبُ مِنَ الْغَضَاضَةِ وَالْبَدَاوَةِ لاسْتِقَالِهَا بِالْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ، وَلَمْ تَتَنَاوَلُ لُغَتُهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ غَيْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّيْنِ وَمَعِيْشَةِ أَجَدُّ الْقَلِيْلَةِ التَّرَفِ، فَقَدْ بُنِيَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ تَشِيْهَ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْوُلاَةِ بِمُلُوْكِ الْفُرْسِ وَدَهَاقِيْنِهِمْ فِيْ أَكْثَرِ أُمُوْرِ السِّيَاسَةِ وَالْمَعِيْشَةِ، وَتَنَاوَلَتِ اللُّغَةُ فِي الْمَشْرِقِ أَغْرَاضًا لَمْ تَعْهَدْ فِيْهَا مِنْ قَبْلِ بِنَقْلِ عُلُوْمِ تِلْكَ الْأُمَمِ وَآدَابِهَا وَعَادَاتِهَا، وَطُرُقِ مَعِيْشَتِهَا، ثُمَّ تَنَاوَلَتْ هَذِهِ الْأَغْرَاضُ فِي الْمَغْرِبِ عِنْدَئِذٍ بِفِرَقٍ يَسِيْرُ وَعَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوْا قَدْ اِرْتَاحَتْ عُقُوْلُهُمْ وَنَضَجَ

اِسْتِعْدَادِهِمْ لِوَضْعِ ٱلأَنْظِمَةِ وَالْقَوَانِيْنَ. فَكَانَ مِنْ أَغْرَاضِ اللُّغَةِ حِيْنَئِذٍ مَا يَأْتِيْ:

- تَدْوِيْنُ الْعُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ.
- التَّرْجَمَةُ مِنَ اللُّغَاتِ ٱلأَجْنَبِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ.
- تَأْدِيَةُ مَقَاصِدِ الصِّنَاعَةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَخَاصَّةً بَعْدَ دُخُوْلِ الْعَرَبِ فِي غَمَارَةِ الصِّنَاعِ وَبَعْدَ تَعَرُّبِ ٱلأَعَاجِمِ.
- تَأْدِيَةُ مَقَاصِدِ أَنْوَاعِ الْخِلاَعَةِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالْمَجَانَةِ مِمَّا قَلَّ نَظِيْرِهِ عَنْ صَدْرِ ٱلإِسْلاَمِ.
- الْمُحَاضَرَةُ وَالْمُنَاظَرَةُ وَالْبَحْثُ وَالْجَدَلُ وَتَدْرِيْسُ الْعُلُوْمِ.
- تَأْدِيَةُ الْمَقَاصِدِ الَّتِي اِسْتَدْعَاهَا ٱلإِنْغِمَاسِ فِي التَّرَفِ وَالتَّنَعُّمِ بِلَذَائِذِ الْحَضَارَةِ الَّتِيْ جَرَتْ فِيْهَا ٱلأُمُمُ ٱلإِسْلاَمِيَّةُ عَصْرَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ إِلَى أَمَدٍ بَعِيْدٍ، وَاقْتَضَتْهَا أَسَالِيْبُ نِظَامِ الْمُلْكِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ.

الْمَعَانِيْ وَالْأَفْكَارُ

إِنَّمَا حَدَثَ فِيْ مَشَارِقِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلاَمِيَّةِ وَمَغَارِبِهَا فِيْ أَثْنَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ مِنَ الْإِنْقِلاَبَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، كَانَ نَتِيْجَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِلْمُتَكَلِّمِيْنَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ فِيْ نَثْرِهِمْ بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَمِنْهَا :

- شُيُوْعُ الْمَعَانِي الدَّقِيْقَةِ وَالْأَفْكَارِ الْجَمِيْلَةِ، وَالْأَخْلِيَةِ الْبَدِيْعَةِ فَوْقَ مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِيْ صَدْرِ الْإِسْلاَمِ.

- التَّهْـوِيْلُ وَالْغُلُـوُّ وَالتَّفْخِـيْمُ الْمُقْتَبِـسُ فِي الْمَشْـرِقِ مِنَ اللُّغَـةِ الْفَارِسِيَّةِ.

- كَثْـرَةُ التَّعْـوِيْلِ عَلَى الْقِيَاسِ وَالتَّعَمُّـقُ فِي الْأَحْـكَامِ الْفِكْـرِيَّةِ، بِالْإِكْـثَارِ مِنَ الْحِجَـجِ وَالْبَـرَاهِـيْنِ الْعَقْلِـيَّةِ وَانْتِـحَاءِ مَـذَاهِـبِ الْفَلْسَفَـةِ فِي الشِّعْـرِ وَالْكِتَابَـةِ وَالتَّدْرِيْسِ وَلاَسِـيَمَا بَعْـدَ عَصْـرِ التَّرْجَمَـةِ.

ٱلأَلْـفَاظُ وَٱلأَسَـالِيْبُ

غَلَبَ عَـلَى عِـبَارَةِ اللُّغَـةِ الْعَـرَبِيَّةُ فِيْ هَـذِهِ الْمُـدَّةِ أَمْـرَانِ عَظِيْـمَانِ : السُّهُوْلَةُ وَالْمُحْسِنَاتُ الْبَدِيْعَةُ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ :

- إِنْتِقَـاءُ ٱلأَلْفَـاظُ الرَّشِيْـقَةُ السَّهْـلَةُ وَالتَّـأَنُّقُ فِيْ صِـوَغِ الْعِـبَارَاتِ وَتَـوْثِيْـقِ الرَّبْـطِ بَيْنِهِمَا وَٱلإِكْـثَارِ مِنَ اسْـتِعْمَالِ أَلْفَـاظِ الْقُـرْآنِ الْكَـرِيْمِ وَعِبَارَاتِهِ وَٱلإِقْتِبَاسِ مِنْهُ وَٱلإِسْتِشْـهَادِ بِهِ.

- تَفَـاقُـمُ الْخِطَـبِ فِي اسْتِعْمَـالِ الْكَلِمَـاتِ ٱلأَعْجَمِـيَّةِ فِيْ كَـثِيْرٍ مِنَ ٱلأَشْـيَاءِ وَلاَ سِـيَمَا أَلْوَانُ ٱلأَطْعِمَـةِ وَأَنْوَاعُ ٱلآنِيَةِ وَالْفِـرَشِ وَأَدَوَاتِ الصِّنَاعَةِ.

- التَّوَسُّعُ وَالْإِكْثَارُ مِنْ أَلْفَاظِ الْمَجَازِ وَالتَّشْبِيْهِ وَالتَّمْثِيْلِ وَالْكِنَايَةِ وَالْمُحْسِنَاتِ الْبَدِيْعَةِ.

- التَّوَسُّعُ فِيْ إِدْخَالِ أَلْقَابِ التَّعْظِيْمِ عَلَى أَسْمَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ الْعَالِيَةِ.

- الْمَيْلُ إِلَى اسْتِعْمَالِ السَّجَعِ.

- الطَّرْفُ إِلَى غَايَةٍ خَدِّيٍّ الْإِطْنَابِ وَالْإِيْجَازِ.

- وَضْعُ إِصْطِلاَحَاتِ الْعُلُوْمِ وَالْفُنُوْنِ وَالصِّنَاعَاتِ وَإِدَارَةِ الدَّوْلَةِ وَأَسْمَاءِ آلاَتِ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا.

حَرَكَةُ التَّدْوِيْنِ وَالتَّصْنِيْفِ

كَانَتِ الْحَاجَةُ إِلَى التَّدْوِيْنِ قَدِ اشْتَدَّتْ فِيْ مَبْدَأِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ِلاتِّسَاعِ مَمَالِكِ ٱلإِسْلاَمِ وَلِدُخُوْلِ كَثِيْرٍ مْنَ ٱلأُمَمِ الْمُحْتَضِرَةِ فِيْهِ، وَلِتَعَدُّدِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ الَّتِيْ لَمْ تَكُنْ لَهَا نَظِيْرٌ فِيْمَا سَبَقَ مِنَ السُّنَّةِ. فَذَهَبَ الْعُلَمَاءُ إِلَى تَهْذِيْبِ مَا كَتَبَ فِي الصُّحُفِ الْمُفْتَرِقَةِ وَمَا حَفِظُوْهُ فِي الصُّدُوْرِ وَرَتَّبُوْهُ وَبَوَّبُوْهُ وَصَنَّفُوْهُ كِتَابًا. وَكَانَ مِنْ أَقْوَى ٱلأَسْبَابِ لِإِقْبَالِ الْعُلَمَاءِ عَلَى التَّصْنِيْفِ حَثِّ الْخَلِيْفَةِ أَبِيْ جَعْفَرِ الْمَنْصُوْرِ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ ٱلأَئِمَّةُ وَالْفُقَهَاءُ عَلَى جَمْعِ الْحَدِيْثِ وَالْفِقْهِ، وَبَذَلَهُ فِيْ سَبِيْلِ ذَلِكَ ٱلأَمْوَالَ الْجَزِيْلَةِ.

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى مُعَاضَدَةِ الْعُلُوْمِ الْإِسْلاَمِيَّةِ بَلْ أَوْعَزَّ إِلَى الْعُلَمَاءِ الْمُتَرْجِمِيْنَ مِنَ السِّرِيَانِ وَالْفُرْسِ أَنْ يَنْقُلُوْا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ وَاليُوْنَانِيَّةِ فُنُوْنَ الطِّبِّ وَالسِّيَاسَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَكِ وَالتَّنْجِيْمِ وَالْآدَابِ وَتَابَعَهُ فِيْ ذَلِكَ أَوْلاَدُهُ وَأَحْفَادُهُ، حَتَّى زَخَرَتْ بُحُوْرُ الْعِلْمِ وَاخْتَرَعَتِ الْفُنُوْنُ وَتَفَرَّعَتِ الْمَسَائِلُ وَدُوِّنَتِ الْكُتُبِ فِيْ كُلِّ فَنٍّ.

وَانْقَسَمَتْ تِلْكَ الْعُلُوْمُ إِلَى قِسْمَيْنِ عَظِيْمَيْنِ :

- الْعُلُوْمُ الْإِسْلاَمِيَّةُ مِنْ شَرْعِيَّةٍ [التَّفْسِيْرِ، وَالْحَدِيْثِ، وَالْفِقْهِ، وَالْكَلاَمِ]، وَلِسَانِيَّةٍ، [الْأَدَبِ، التَّارِيْخِ، الْعَرُوْضِ، وَالنَّحْوِ، اللُّغَةِ وَالْبَلاَغَةِ]

- الْعُلُوْمُ الْكَوْنِيَّةُ وَالْمَنْقُوْلَةُ [الْعُلُوْمُ الطَّبِيْعَةُ، عِلْمُ الْكِيْمِيَاءِ، الطِّبُّ وَالصَّيْدَلِيَّةُ، وَالْفَلاَحَةُ]، الْعُلُوْمُ الرِّيَاضَاتُ، [عِلْمُ الْحِسَابِ، عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ، عِلْمُ الْآلاَتِ وَالْحِيْلِ الْمِيْكَانِيْكَا]، وَالْعُلُوْمُ الْإِلَهِيَّةُ، [عِلْمُ الرُّوْحَانِيَّةُ، الْمُدْرِكَاتُ الْإِلَهِيَّةُ]

خُلاَصَةُ أَثَرِ الْحَضَارَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لَمَّا كَانَتْ حَضَارَةُ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَسَاسِ الْحَضَارَتَيْنِ الْفَارِسِيَّةِ وَالْيُوْنَانِيَّةِ بِاتِّخَاذِ خُلَفَائِهَا مِنْ أُولَئِكَ أَكْثَرِ شِيْعَتِهِمْ وَنُصَرَائِهِمْ، وَإِيْثَارِهِمْ عَلَى الْعَرَبِ بِالْمُلْكِ وَتَقَالِيْدِهِمْ إِيَّاهُمْ فِيْ نِظَامِ مُلْكِهِمْ، كَانَ لِذَلِكَ آثَارٌ وَاضِحَةٌ فِيْ حَالَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةُ حَسَنًا وَقَبِيْحًا.

وَأَمَّا ٱلآثَارُ الْحَسَنَةُ فَهِيَ :

- ِاتِّسَاعُ أَغْرَاضِ اللُّغَةِ مِنْ حَيْثُ تَدْوِيْنِ الْعُلُوْمِ بِهَا وَتَرْجَمَتِهَا إِلَيْهَا وَالْمُنَاظَرَةِ فِيْهَا.

- اِتِّسَاعُ أَفْكَارِ الْمُتَكَلِّمِيْنَ وَتَنَوُّعِ أَخِيْلَتِهِمْ مِمَّا أَدَّى إِلَى اِبْتِكَارِ مَعَانٍ جَدِيْدَةٍ.

- سُهُوْلَةُ ٱلْأَلْفَاظِ وَتَنَوُّعُ ٱلْأَسَالِيْبِ

أَمَّا ٱلْآثَارُ السَّيِّئَةُ فَهِيَ :

- كَثْرَةُ مَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْخَيْلِ الَّذِيْ قَلَّمَا خَضَعَ لِقَوَانِيْنَ الصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ

- كَثْرَةُ التَّأَنُّقِ فِي الْحِيْلَةِ اللَّفْظِيَّةِ

- ضَعْفُ قُوَّةِ ٱلِارْتِحَالِ وَاسْتِعْجَامِ ٱلْأَلْسِنِ مِمَّا أَفْضَى إِلَى اِضْمِحْلَالِ أَمْرِ الْخِطَابَةِ بِالتَّدْرِيْجِ.

نَمُوْذَجٌ مِنَ الْخِطَبِ

حَجَّ الْمَنْصُوْرُ بَعْدَ بِنَاءِ بَغْدَادِ فَقَامَ خَطِيْبًا بِمَكَّةَ قَالَ :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُوْرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُوْنَ.

أَمْرٌ مُبْرَمٌ وَقَوْلٌ عَدْلٌ، وَقَضَاءٌ فَصْلٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ أَفْلَجَ حُجَّتُهُ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ الَّذِيْنَ إِتَّخَذُوا الْكَعْبَةَ عَرْضًا، وَأَلْفَئ إِرْثًا، وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِيْنَ لَقَدْ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِئُوْنَ فَكَمْ تَرَى مِنْ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيْدٍ، أَمَامُهُمُ اللَّهُ حَتَّى بَدَلُوا السَّنَةَ، وَاضْطَهَدُوا الْعِتْرَةَ، وَعَنَدُوْا وَاعْتَدُوْا وَاسْتَكْبَرُوْا، وَخَابَ كُلُّ

جَبَّارٍ عَنِيْدٍ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ فَهَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا.

الدرس الخامس

عَصْرُ الدُّوَلِ الْمُتَتَابِعَةِ

الْحَيَاةُ السِّيَاسِيَّةُ

مَرَّتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بَعْدَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ عُهُوْدِ الضَّعْفِ وَالتَّفَكُّكِ لانْقِسَامِ الدَّوْلَةِ إِلَى عَدَدٍ مِنَ الدَّوْلِيَاتِ فِيْ أَنْحَاءِ الْبِلاَدِ الْإِسْلاَمِيَّةِ. وَيَرْجِعُ ذَلِكَ الضَّعْفُ إِلَى أَسْبَابٍ عِدَّةٍ – فَضْلاً عَنِ الْانْقِسَامِ – مِنْهَا السِّيَاسِيِّ وَالْإِجْتِمَاعِيِّ وَالْمَذْهَبِيِّ.

وَقَدْ وَجَدَتِ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلاَمِيَّةُ نَفْسُهَا فُجْأَةً أَمَامَ أَحْدَاثِ عِظَامٍ لَمْ تَطِقِ الصُمُوْدَ أَمَامَهَا، وَتَتَمَثَّلُ فِي الْغَزْوِ الصَّلِيْبِيْ

الْقَـادِمِ مِنَ الْغَـرْبِيّ وَالْإِحْـتِيَاجِ الْمُغُـوْلِيْ الْقَـادِمِ مِنَ الشَّـرْقِ. وَإِذَا أَمَامَهَا كَانَ قَدْ تَمَّ الصُّمُوْدُ لِلْغَزْوِ الصّلِيْبِيْ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ شَيْءٌ الْوُقُـوْفَ فِيْ وَجْـهِ جُمُـوْعِ التَّتَـارِ الْحَاشِـدَةِ الَّتِيْ احْتَـاحَتِ الشَّـرْقُ الْإِسْـلاَمِيُّ فَتَسَـاقَطَتْ دُوَلَـهُ وَاحِـدِةً إِثْـرَ الْأُخْـرَى حَـتَّى سَقَطَـتْ بَغْدَادُ سَنَةَ 656 هـ .

وَعِنْدَئِذٍ بَدَأَ عَصْرٌ جَدِيْدٌ يُسَمَّى بِعَصْرِ الدُّوَلِ الْمُتَتَابِعَـةِ وَهُـوَ عَصْـرٌ طَـوِيْلٌ جِـدًّا قَـامَتْ فِيْهِ دُوَلٌ كَثِـيْرَةٌ أَشْهَـرُهَـا دَوْلَـةُ الْمَمَـالِيْكِ [666 - 923 هـ]، وَالدَّوْلَـةُ الْعُثْمَـانِيَّةُ [923 – 1213هـ]. وَانْقَسَمَ فِيْهِ الْعَالَمُ الْإِسْلاَمِيّ قِسْمَيْنِ : الْقِسْـمُ الشَّـرْقِيُّ وَهُوَ الْعِرَاقُ وَمَـا وَرَاءَهُ مِنَ الشَّـرْقِ، وَقَـدْ أَصْبَحَ وِلاَيَـةً مُغُوْلِيَّةً؛ وَالْقِسْـمُ الْغَـرْبِيُّ وَهُـوَ مِصْـرُ وَالشَّـامُ وَقَـدِ احْتَفَظَ بِاسْـتِقْلاَلِهِ وَدَافَـعَ عَنْـهُ الْمَمَـالِيْكِ دِفَـاعًا مُسْتَمِيْتًا بِقِـيَادَةِ الْمُلْكِ قَطْـزِ حَيْثُ صَمَـدُوْا لِلْغُـزَاةِ التَّتَـارِ، وَهَـزَمُوْهُـمْ شَـرَّ هَـزِيْمَـةٍ فِيْ مَوْقِعَـةِ "عَيْنِ جَـالُـوْتِ" الْمَشْهُـوْرَةِ. وَكَانَ لِلْمَمَـالِيْكِ دُوَلَـهُمْ الْمُتَعَـدِّدَةِ كَدَوْلَةِ الْمَمَـالِيْكِ الْبَحْـرِيَّةِ، وَدَوْلَةِ الْمَمَالِيْكِ الْبَرْجِيَّةِ أَوِ الشَّرَاكِسَةِ.

وَقَدْ آلَ الْحُكْمُ بَعْدَ الْمَمَالِيْكِ إِلَى ٱلأَتْرَاكِ الْعُثْمَانِيِّيْنَ سَنَةَ 923هـ، الَّذِيْنَ أَقَامُوْا خِلاَفَتِهِمْ فِيْ عَاصِمَتِهِمُ الْقَسْطَنْطِيْنِيَّةِ، وَحَكَمُوْا الْبِلاَدَ الْعَرَبِيَّةَ بِالْقُوَّةِ، وَجَعَلُوا اللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ لُغَةَ الْبِلاَدِ الرَّسْمِيَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِيَّةِ وَلاَ ِلأَهْلِهَا أَيَّ دَوْرٍ فِي الْحَيَاةِ، إِذْ صَارَتِ اللُّغَةُ إِلَى مُسْتَوَى مُتَمَدِّنٍ لِلْغَايَةِ، كَمَا صَارَ الْعَرَبُ أَنْفُسَهُمْ إِلَى الذُّلِّ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْخُمُوْلُ، وَخَيَّمَ عَلَيْهِمُ الظَّلاَمُ وَمَهْمَا قِيْلَ فِي الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ فَحَسَبْنَا مَوْقِفَ السُّلْطَانِ عَبْدَ الْحَمِيْدِ فِي ٱلإِصْلاَحَاتِ، وَمَوْقِفَهُ بِالذَّاتِ مِنَ الْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِيْنِيَّةِ، فَهُوَ مَوْقِفٌ سَجَّلَهُ التَّارِيْخُ بِأَحْرُفٍ مِنْ نُوْرٍ. وَالسُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيْدِ هُوَ صَاحِبُ شِعَارِ "يَا مُسْلِمِي الْعَالَمِ اِتَّحِدُوْا" وَبِذَلِكَ أَبْرَزَ فِكْرَةَ "الْجَامِعَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ" وَلَمْ يَسْتَيْقِظِ الْعَرَبُ إِلاَّ عَلَى مَدَافِعِ حَمْلَةِ الْجِنْرَالِ الْفَرَنْسِي "نَابِلِيُوْن" سَنَةَ 1213 هـ الْمُؤْذَنَةُ بِبِدَايَةِ عَصْرِ النَّهْضَةِ الْحَدِيْثِ.

الْحَيَاةُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ

أَدَّى احْتِلاَطُ الْعَرَبِ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْأُخْرَى، وَتَوَلَّى الْنَكَبَاتُ مِنْ حُرُوْبٍ وَأَوْبِئَةٍ وَمُجَامَعَاتٍ إِلَى ظُهُوْرِ أَلْوَانٍ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمَفَاسِدِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِيْ تَرْتَكِبُ جِهَارًا لِضَعْفِ الْوَاضِعِ الدِّيْنِيّ. كَمَا دَخَلَتِ الدِّيْنُ بَعْضَ الْبِدَعِ كَالطُّرُقِ الصُّوْفِيَّةِ وَمَا اِبْتَكَرَتْهُ مِنْ ضُرُوْبِ الشُّعُوْذَةِ وَالدَّجَلِ، وَمَا غَرَسَتْهُ فِي النُّفُوْسِ مِنْ مَيْلٍ إِلَى الْاِتِّكَالِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَظَاهِرِ السَّلْبِيَّةِ وَالضَّعْفِ، عَدَا مَا أَسَّسَتْ مِنَ الْإِعْتِقَادِ فِي الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِيْنَ، وَزِيَارَةِ الْقُبُوْرِ وَالتَّوَسُّلِ بِهَا.

كَذَلِكَ انْتَشَرَ ٱلاِعْتِقَادُ فِي التَّنْجِيْمِ وَالرَّجْمِ بِالْغَيْبِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ قَلَقِ النُّفُوْسِ لِكَثْرَةِ مَا اِنْتَابَ النَّاسُ مِنَ الْمِحَنِ وَالنَّكَبَاتِ وَتَقَلُّبِ الزَّمَانِ.

وَشَاعَتِ الْفَاهِيَةُ وَالتَّرَفُ مِنْ تَأَنُّقٍ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَمِنْ اِفْتِنَانٍ فَهِيَ ضُرُوْبُ الْمَلاَهِي، حَيْثُ عَمَرَتْ قُصُوْرُ الْمُلُوْكِ وَعُلْيَةِ الْقَوْمِ بِأَنْوَاعِ التَّرَفِ كَإِحْيَاءِ اللَّيَالِيْ بِالْمُوْسِيْقَا وَالْغِنَاءِ.

وَقَدْ كَانَتْ لِلْمَمَالِيْكِ مَلاَهِيْهِمْ وَمَلاَعِبُهُمْ، فَكَانُوْا يَجُرُّوْنَ الْخُيُوْلَ فِيْ حَلَبَاتِ السِّبَاقِ، وَيَلْعَبُوْنَ بِالْكُرَةِ وَالصَّوْلَجَانِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَلْعَابِ الْفُرُوْسِيَّةِ، كَمَا كَانُوْا يَكْثُرُوْنَ مِنَ الْخُرُوْجِ لِلصَّيْدِ فِي الْبَرَابِرِيْ وَحَوْلَ الْبَحِيْرَاتِ، وَيَصْحَبُوْنَ مَعَهُمْ الْخَدَمَ وَٱلأَعْوَانَ، وَيُخَيِّمُوْنَ ٱلأَيَّامَ وَاللَّيَالِي. وَكَانَ عَامَّةُ النَّاسِ يَقْصُدُوْنَ ٱلأَمَاكِنَ النُّزْهَةِ لِلْفَرْحَةِ وَاللَّهْوِ، وَيَنْتَهِزُوْنَ فُرَصَ ٱلأَعْيَادِ وَالْمُنَاسَبَاتِ ِلإِقَامَةِ ٱلأَفْرَاحِ.

وَأَخِيْرًا فَقَدْ قَامَ النِّظَامُ ٱلاِجْتِمَاعِيُّ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ عَلَى أَسَاسِ ٱلإِقْطَاعِ الْعَسْكَرِيْ الطَّبِيْقِيْ [التَّشْبِيْهِ بِالنِّظَامِ ٱلإِقْطَاعِيْ] فِيْ أُوْرُوبَّا فِي الْعَصْرِ الْوُسْطَى.

حَالَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ

لَـمَّا اِكْتَسَـحَ التَّتَارُ مَمَـالِيْكَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِـيَّةِ وَخَـرَبُوا الْبِـلاَدَ وَقَتَلُـوا الْعِبَادَ، وَأَبَادُوا الْكُتُبَ، وَافْتَرَقُوْا إِلَى مَمَالِكٍ مُتَعَـدِّدَةٍ بِآسِيَا وَشَـرْقِيْ أُوْرُوبَـةِ، لَـمْ يَلْبَثُوْا أَكْثَرَ مِنْ نِصْـفِ قَرْنٍ أَسْلَمُـوْا وَشَـرَعُوْا يَحْتَدِمُوْنَ ٱلإِسْـلاَمِ بِتَقْـرِيْبِ الْعُلَمَـاءِ إِلَيْهِـمْ وَتَـرْغِيْبِهِـمْ فِي التَّأْلِيْفِ فَـأَفَادَ ذَلِكَ فِيْ إِدَامَـةِ الْحَـرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْجُمْـلَةِ وَإِنْ لَـمْ تُفِـدِ اللُّغَـةُ الْعَـرَبِيَّةُ فَـائِدَةً تُذْكَـرُ، وَأَمَّـا عُلُـوْمُ الْعَـرَبِ وَأَدَبُـهَا فَلَـمْ تَكُنْ مَبَاءَةً تَـرْجِعُ إِلَيْـهَا إِلاَّ الْبِـلاَدُ الْعَـرَبُ كَالشَّـامِ وَمِصْـرَ. فَـأَصْبَحَتِ الْقَـاهِـرَةُ هِيَ الْمَثَـابَةُ ٱلأَخِـيْرَةُ لِلْعَـرَبِ وَالْعَـرَبِيَّةِ. وَإِنْ كَانَتْ حُكُـوْمَتُهَا وَإِنْ لَـمْ يَكُـنْ

لِرِجَالِهَا وَجُنُوْدِهَا عَصَبِيَّةً قَوِيَّةً تَجْعَلُ لُغَتُهُمْ تَزَاحَمَ الْعَرَبِيَّةَ. فَبَقِيَتْ بِطَبِيْعَةِ الْحَالِ اللُّغَةَ الرَّسْمِيَّةَ هِيَ الْعَرَبِيَّةُ. وَأَصْبَحَ الْعُلَمَاءُ هُمْ رِجَالُ ٱلإِدَارَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْقَضَاءِ وَالْحَسْبَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَاصِبِ الْمُلْكِيَّةِ. وَاقْتَصَرَ الْمَمَالِيْكُ عَلَى مَرَاتِبِ الْجُنْدِيَّةِ وَالْمَنَاصِبِ الْعَسْكَرِيَّةِ، غَيْرِ أَنَّ تِلْكَ الْحَالَ لَمْ تَدِمْ أَكْثَرَ مِنْ مُدَّةِ الْمَمَالِيْكِ وَصَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ الْوَارِثَةِ لَهُمْ، ثُمَّ أَصْبَحَتِ اللُّغَةُ التُّرْكِيَّةُ الْعُثْمَانِيَّةُ هِيَ اللُّغَةَ الرَّسْمِيَّةَ لِلْأَعْمَالِ الدِّيْوَانِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ فِيْ جَمِيْعِ الْمَمَالِكِ الْعُثْمَانِيَّةِ، فَزَاحَمَتِ الْعَرَبِيَّةُ مُزَاحَمَةَ ظَهْرِ أَثَرِهَا بَيِّنًا فِيْ تَحْرِيْرِ الرَّسَائِلِ الدِّيْوَانِيَّةِ وَالْمَعَاهِدِ السِّيَاسِيَّةِ وَدَخَلَ فِي اللُّغَةِ أَثْنَاءَ دَوْلَتَيْ الْمَمَالِيْكِ وَالْعُثْمَانِيَّةِ كَثِيْرًا مِنَ ٱلأَلْفَاظِ التُّرْكِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ.

عَاصَرَ دَوْلَةُ الْمَمَالِيْكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ دَوْلَةَ بَنِي ٱلأَحْمَرِ بِٱلأَنْدَلُسِ وَدَوْلَةَ بَنِيْ مُرِيْنَ وَالدَّوْلَةَ الْحَفْصِيَّةِ بِشَمَالِ أَفْرِقِيَّةِ.

حَرَكَةُ التَّدْوِيْنِ

أَلَّفَ عُلَمَاءُ هَذَا الْعَصرِ تَأْلِيْفًا جَمَّةً، أَخْلَفَتْ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ بَعْضَ مَا أَبَادَهُ التَّتَارُ وَالصَّلِيْبِيُوْنَ مِنَ الْكُتُبِ النَّفْسِيَّةِ، وَيَرْجِعُ أَكْثَرُ الْفَضْلِ فِيْ ذَلِكَ إِلَى عُلَمَاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَجَالِيَةِ ٱلأَنْدَلُسِ إِلَيْهِمَا. أَمَّا أَعَاجِمُ الْمَشْرِقِ فَهُمْ وَإِنْ أَلَّفُوْا فِيْ الْعُلُوْمِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ وَالْفَلْسَفِيَّةِ فَقَدْ كَانَ تَأْثِيْرُ بِيْئَتِهِمُ ٱلأَعْجَمِيَّةِ جَاعِلاً كُتُبَهُمْ عَلَى شَرَفِ مَوْضِعِهَا وَجَلاَلِ مَبَاحِثِهَا صَعْبَةَ التَّنَاوُلِ، ضَعْيْفَ ٱلأَثَرِ فِيْ تَقَدُّمِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيّ.

الدرس السادس

عَصْرُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مِنْ مَطْلَعِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيْثِ

لَمْحَةٌ مُوْجَزَةٌ لِلْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَأَثَرُهَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

قَبْلَ الْبِعْثِ

ظَلَّتْ مِصْرُ وَبِلاَدُ الْعُرُوْبَةِ ثَلاَثَةَ قُرُوْنٍ تَحْتَ حُكْمِ الْأَتْرَاكِ وَهِيَ فِيْ ظَلاَمٍ دَامِسٍ، وَجَهْلٍ فَاضِحٍ وَتَعَانِىٍ مِرَارَةِ الظُّلْمِ وَقَسْوَةِ الْبَغْيِ، لاَيَعِيْشُ أَهْلُهَا إِلاَّ صَفَحَاتٍ سَوْدَاءِ قَائِمَةٍ، تَنْبَعِثُ مِنْهَا رَوَائِحَ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْبَطْشِ، فَلاَ صَوْتَ إِلاَّ صَرَاخُ الْمَظْلُوْمِيْنَ يَصُمُّ الْآذَانَ، وَتَلْمَحُ دِمَاءَ الْفَلاَّحِيْنَ فِيْ كُلِّ صَقْعٍ تَسِيْلُ تَحْتَ سِيَاطِ

الْجَبَاةِ إِذْ تَتَمَثَّلُ الْحَيَاةُ فِيْ بِلاَدِ الْعُرُوْبَةِ تَخْنُقُهَا يَدٌ غَاشِمَةٌ أَصَابِعُهَا : الْفَقْرُ وَالْمَرَضُ وَالْجَهْلُ وَالذُّلَّةُ وَالْإِنْحِلاَلُ.

لَمْ يَكُنْ لِوُلاَةِ الْأَتْرَاكِ هُمْ إِلاَّ بِسْتِدْرَارِ الْأَمْوَالِ بِأَيَّةِ وَسِيْلَةٍ، غَيْرِ مُعِيْرِيْنَ صَرَاخَاتِ الشُّعُوْبِ الْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ مُهْتَمِّيْنَ بِمَا يُقَاسُوْنَ مِنْ ضَنْكٍ وَبُؤْسٍ وَفَاقَةٍ وَجَهْلٍ، وَاشْتَدَّ الْخَلْفُ بَيْنَ أُمَرَاءِ الْمَمَالِيْكِ، وَسَلَبُوْا الْوَالِيْ سُلْطَتِهِ وَشُئُوْهَا حَرْبًا شَعْوَاءَ كُلٌّ عَلَى أَخِيْهِ، يُنَازِعُهُ السُّلْطَةُ وَالْجَاةُ. وَالضَّحِيَّةُ فِيْ هَذَا النِّزَاعِ كُلِّهِ هُمْ أَبْنَاءَ الْبِلاَدِ، فَلاَ غَرْوَ إِذَا أَفْقَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ جَاءَ الْقَرْنُ التَّاسِعَ عَشَرَ، وَسُكَّانُ مِصْرَ أَقَلُّ مِنْ ثَلاَثَةِ مَلاَيِيْنَ، أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَيَلِيْهِمُ الْأَقْبَاطُ ثُمَّ الْأَتْرَاكُ وَكَانَ الْحَاكِمُ يَفِدُ مِنَ الْأَسْتَانَةِ، وَيُقِيْمُ بِالْقَلْعَةِ وَيَدْعُوْ لِلْخَلِيْفَةِ، وَيَضْرِبُ بِاسْمِهِ النُّقُوْدُ.

وَلَكِنَّ السُّلْطَةُ الْفِعْلَةُ كَانَتْ فِيْ يَدِي الْمَمَالِيْكِ وَهُمُ الْإِخْتِلاَطُ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالشَّرَاكِسَةِ وَجَمِيْعِ ثَرْوَةِ الْبِلاَدِ وَإِدَارَتِهَا فِيْ أَيْدِيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَصَبِيَّةً لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَارَثُوْا الْمُلْكَ إِلاَّ نَادِرًا

وَإِنَّـمَا الْغَلَبَةُ لِلْقَـوِيّ، فَضَـرْبَةٌ مَـوْقِفَةٌ مِنْ حِسَـامِ أَحَـدِهِـمْ تَكْسِـبُهُ الصَّـدَارَةِ مِنْ بَيْنِ أَبْنَاءِ جِلْدَتِـهِ، وَلَـمْ يَـكُنْ خُطَّـةُ السَّعِيْدِ يُغَيِّرُ مِنْ أَخْلاَقِهِ فَهُـوَ فِيْ مَنْصَبِ الْوَالِيْ تَتَقَمَّصَـهُ رُوْحُ الْعِيْدِ الْوَضِـيْعِ، وَلَيْسَ لَـهُ مَنْ هُـمْ إِلاَّ اِلإِسْـتِيْلاَءُ عَلَى النِّسَـاءِ وَالْخَـيْلِ وَالْأَمْـوَالِ، وَكَانَ الْفَلاَّحُ الْمِسْكِيْنُ يُغْزَى وَتُنْهَبُ أَمْوَالُهُ، وَلَمْ يَكُنِ التَّاجِرُ الْمِصْرِيْ أَوِ الْأُوْرُبِيْ الْغَـرِيْبِ بِـأَحْسَـنِ مِنْهُ حَـالاً، وَلاَ رَيْبَ فِيْ أَنَّ الْحَـالَةَ الْإِجْتِمَاعِيَّةَ وَالْأَدَبِيَّةَ تَتَأَثَّـرُ إِلَى حَـدٍّ كَبِيْرٍ بِالْحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ، فَرْعِيَّةِ هَمْلٍ، وَرُعَـاةٍ مُسْتَبَدُّوْنَ، وَهَيْهَـاتَ أَنْ يَكُـوْنَ لِلْأَدَبِ نَصِيْبٌ فِيْ مِثْلِ هَذِهِ الْبِيْئَةِ الْجَاهِلَةِ.

وَقَـدْ زَارَ [فـولنى] الرِّحْـلَةَ الْفَـرَنْسِيْ مِصْـرَ، وَالْبِـلاَدَ الشَّـرْقِيْ الْعَرَبِيْ وَتُرْكِيَا فِيْ أُخْـرَيَاتِ الْقَـرْنِ الثَّامِنِ عَشَـرَ فَـرِئَهُ/ تَا بَهَا مِنْ جَهْـلٍ مُطْبِـقٍ وَفَسَـادٍ شَـائِعٍ، وَهُـوَ فِيْ هَـذَا يَقُـوْلُ : الْجَهْـلُ عَـامٌ فِيْ هَـذِهِ الْبِلاَدِ وَفِيْ كُلِّ بَلَدٍ تَـابِعٍ لِتُرْكِيَا، وَقَدْ عَمَّ كُلُّ الطَّبَقَـاتِ وَيَتَجَلَّى فِيْ كُـلِّ الْعَـوَامِـلِ الْأَدَبِيَّةِ وَفِي الْفُـنُوْنِ الْجَمِيْلَةِ، حَـتَّى الصِّنَاعَـاتِ الْيَـدَوِيَّةِ تَرَاهَا فِيْ حَـالَةٍ بِدَائِيَّةٍ، وَيَنْدَرُ أَنْ تَجِدَ فِي الْقَـاهِرَةِ مَنْ يَصْلُحُ السَّـاعَةَ وَإِذَا وَجَدَ فَهُـوَ أَجْنَبِيٌّ.

وَقَدْ حَرَّمَ ٱلأَتْرَاكُ مِصْرَ أَغْلَى كُنُوْزِهَا فَنَقَلُوْا أَكْثَرَ الْكُتُبَ الَّتِيْ كَانَتْ بِخَزَائِنِ الْمَدَارِسِ إِلَى بِلاَدِهِمْ، ثُمَّ نَقَلُوْا كَثِيْرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَٱلأُدَبَاءِ وَٱلأُمَرَاءِ وَالْمُهَنْدِسِيْنَ وَالْوَارِقِيْنَ وَأَرْبَابِ الْحَرْفِ. وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ هَذَا ٱلاِحْتِلاَلِ كَذَالِكَ اِنْقَلَّتْ أَمْوَالُ ٱلأَوْقَافِ الَّتِيْ كَانَتْ مَحْبُوْسَةً عَلَى الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةَ الْعِلْمِ فَتَفَرَّقَ الطُّلاَّبُ وَانْقَصَّتْ سُوْقُ الْعِلْمِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلاَّ ذِمَاءَ يَسِيْرُ بِالْأَزْهَرِ، وَمِنَ الْبَدِيْهِيْ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَجِدْ فِيْ هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ مَنْ يَشُدُّ أَزْرَهَا، وَيُثِيْبُ الشُّعَرَاءُ وَالْكُتَّابُ الْمُحَقِّقِيْنَ بِهَا، وَذَلِكَ ِلأَنَّ اللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ طَغَتْ وَصَارَتِ اللُّغَةَ الرَّسْمِيَّةَ فِي الدَّوَاوِيْنِ، وَفَشَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ، وَ ِلأَنَّ الْحُكَّامُ يَفْقَهُوْنَ الْعَرَبِيَّةَ وَلاَ يَقَدِّرُوْنَهَا قَدْرَهَا، وَلاَ يُمَيِّزُوْنَ بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالْغَثِّ مِنَ الْكَلاَمِ حَتَّى يَلْجَأَ الْهَيْمُ الشُّعَرَاءُ مَادِحِيْنَ.

بَعْدَ الْبِعْثِ

هَبَتْ مِصْرُ مِنْ سِبَاتِهَا الْعَمِيْقِ وَالْفَسَادِ وَاضْمِحْلاَلِ حُكُوْمَةً وَأَخْلاَقًا وَلُغَةً وَأَدَبًا فَزْعَةً مَزْعُوْرَةً حِيْنَ دَوَّتْ فِيْ آفَاقِهَا مَدَافِعُ نَابِلِيُوْنَ سَنَةَ 1797 م، الَّذِيْ اِصْطَحَبَ [نَابِلِيُوْنَ] مَعَهُ كُلَّ عَدَدِ ٱلاِسْتِعْمَارِ وَٱلاِسْتِغْلاَلِ وَٱلإِيْقَاظِ.

وَكَانَتْ حَمْلَةُ نَابِلِيُوْنَ هَزَّةً عَنِيْفَةً لِمِصْرَ، بَيَّنَتْ لَهَا أَنَّهَا تَعِيْشُ فِيْ عَالَمٍ آخَرٍ، وَأَنَّ الدُّنْيَا تَسِيْرُ وَأَهْلُهَا وَاقِفُوْنَ غَارِقُوْنَ فِيْ أَحْلاَمِهِمْ يَجْتَرُّوْنَ مَاضِيْهِمْ، لاَ يُدْرِكُوْنَ مَسَاوِيْهِمْ وَيَظُنُّوْنَ أَنَّهُمُ النَّاسَ وَأَنَّ غَيْرَهُمْ لاَ شَيْءٌ.

وَقَدْ نَظَمَ نَابِلِيُوْنَ شُؤُوْنَ مِصْرَ الدَّاخِلِيَّةَ تَنْظِيْمًا حَسَنًا وَيَشْهَدُ لَهُ بِالنُّبُوْغِ ٱلإِدَارِيْ، فَوْقَ نبُوْغِ الْحَرْبِيْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَصْرِ الْمُدَّةِ الَّتِيْ أَقَامَهَا بِمِصْرَ. فَأَنْشَأَ الدَّوَاوِيْنَ فِيْ مِصْرَ وَالْمُدُنَ الْكُبْرَى وَانْتَخَبَ لَهَا أَكِفَّاءُ مِصْرِيِّيْنَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْمِصْرِيِّيْنَ الْمَسِيْحِيِّيْنَ رِجَالَ الْمَالِيَّةِ وَالْإِدَارَةِ، بَيْدَ أَنَّ شَرَاسَةَ رِجَالِ الْحَمْلَةِ وَاسْتِهْتَارِهِمْ بِالشَّعْبِ الْمِصْرِيْ وَدِيْنِهِ وَتَقَالِيْدِهِ وَانْتِهَاكِهِمْ حُرُمَاتِ ٱلأَهَالِيْ جِهَارًا، وَنَهْبِهِمُ الْقُرَى ٱلآمِنَةِ وَإِفْزَاعِ أَهْلِهَا وَفَرْضِ الضَّرَائِبِ عَلَى ٱلأَوْقَافِ الْخَيْرِيَّةِ الَّتِيْ كَانَتْ يَصْرِفُ رِيْعُهَا عَلَى الْمَسَاجِدِ وَطُلاَّبِ الْعِلْمِ وَفَرَضَهَا كَذَلِكَ عَلَى الْمَنَازِلِ. جَعَلَ كُلُّ قُلُوْبِ الْمِصْرِيِّيْنَ تَنْفِرُ مِنْ نَابِلُوْنَ وَإِصْلاَحَاتِهِ وَعِلْمِهِ وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ الْغَاصِبِ الْمُسْتَبِدِّ، وَلَقَدْ ثَارَ الْمِصْرِيُّوْنَ فِيْ أُكْتُوْبَرِ سَنَةَ 1798 م، فَأَخْمَدَ ثَوْرَتَهُمْ فِيْ قَسْوَةٍ عَارِمَةٍ وَعَنْفٍ وَغِلْظَةٍ وَانْتَهَكَ حُرْمَةَ الْمَسَاجِدِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ وَعَبَثًا حَاوَلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَأَلَّفَ قُلُوْبَهُمْ أَوْ يَسْتَمِيْلَهُمْ إِلَى الْمَدِيْنَةِ الْغَرْبِيَّةِ.

وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ الْمُؤَرِّخُ ٱلإِنْجِلِيْزِيْ إلجود [Elgood]:

"لَقَـدْ تَرَكَ ٱلِاحْـتِلاَلُ الْفَـرَنْسَى فِيْ مِصْـرَ أَثَـرًا لاَ يُمْحَى، فَقَـدْ ظَلَّ الْمِصْـرِيُّوْنَ يُعْجِبُـوْنَ بِنَـابِلِيُوْنَ بَعْـدَ خُـرُوْجِـهِ مِنْ دِيَـارِهِـمْ وَظَـلَّتْ طُرُقُ ٱلإِدَارَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مُهَيْمَنَةً عَلَى حُكُـوْمَةِ مِصْرَ، وَظَلَّتْ عَـادَاتُ التَّفْكِـيْرِ الْفَـرَنْسِـيَّةِ تُسَـيْطِرُ عَلَى الطَّبَقَةِ الْمُسْتَنِيْرَةِ بِمِصْـرَ، وَإِنَّ مَـا خَلَفَتْهُ الْحَمْلَـةُ الْفَرَنْسِيَّةُ فِيْ مِصْـرَ خِـلاَلَ ثَلاَثَةِ أَعْـوَامٍ لاَ غَيْرَ، لِمَنْ أَضْخَمَ مَا يَتَسَنَّى إِنْجَازِهِ فِيْ هَـذَا ٱلأَمَـدِ الْوَجِيْزِ.

ثُـمَّ أُتِيْحَتْ لِمِصْرَ الْفُرْصَةَ لِكَيْ تَنْهَـضُّ وَتَتَبَـؤُ مَرْكَزُهَا بَيْنَ ٱلأُمَـمِ الْمُتَمَـدِّيْنَ بِـاسْـتِيْلاَءِ مُحَـمَّد عَلِي عَـرْش مِصْـرَ، وَحَـاوَلَ أَنْ يُنْشِـئَ دَوْلَةً قَـوِيَّةً خَـالِصَةً لِنَفْسِـهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَأَفَادَتْ مِصْرُ مِنْ مَجْهُـوْدَاتِهِ فِيْ هَـذَا السَّـبِيْلِ وَإِنَّ حُكْمَـهَا حُكْمًـا اِسْـتِبْدَادِيًّا خَالِصًا وَكَانَ مُحَـمَّدْ عَلِي طُمُوْحًا يُرِيْدُ أَنْ يَرَى مِصْرَ مَا بَيْنَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا لاَ تَقِـلُّ فِيْ حَضَـارَتِهَا وَقُـوَّتِهَا عَنْ دُوَلِ أُوْرُبَّا فَوَضَعَ أُسُـسِ نَهْضَـةٍ شَـامِـلَةٍ : فِي الْجَيْشِ، وَالصِّـنَاعَـةِ، وَالزِّرَاعَةِ، وَالتَّعْلِـيْمِ وَٱلإِدَارَةِ حَتَّى يَكُوْنَ الْبَعْثُ عَامًّا، يَدْفَعُ بَعْضُـهُ بَعْضًـا. فَقَدْ وَجَدَ مُحَـمَّد عَلِي أَنَّ خَيْرَ وَسِـيْلَةٍ تَنْهَـضُ بِالشَّعْـبِ الْمِصْـرِيْ وَتَرْفَعُهُ إِلَى مُسْـتَوَى ٱلأُمَـمِ النَّـاهِضَـةِ ٱلإِهْـتِمَـامِ بِالتَّعْلِيْمِ، وَقَـدْ سَلَكَ فِيْ سَبِيْلِ

تَعْلِيْمِ الشَّعْبِ كُلَّ الطَّتَرِ النَّاجِحَةِ فَمِنْ بِعْثَاتٍ وَطَبَاعَةٍ، وَفَتْحِ مَدَارِسَ، وَنَقْلِ آثَارِ ٱلأُمَمِ الْغَرْبِيَّةِ فِي الْعُلُوْمِ وَٱلآدَابِ، وَتَأْسِيْسِ الصَّحَافَةِ لِتُنِيْرَ الْحَيَاةَ أَمَامَ الشَّعْبِ. إِذْ نَقَلَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَشَرَاتِ الْكُتُبِ الْجَلِيَّةِ فِي الْعُلُوْمِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَثَرُ ذَلِكَ فِيْ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ اِنْقِلاَبًا عَظِيْمًا وَاكْتَسَبَتْ مِنْ سَعَةِ ٱلأَغْرَاضِ وَالْمَعَانِي وَٱلأَلْفَاظِ الْعِلْمِيَّةِ وَٱلأَسَالِيْبِ ٱلأَجْنَبِيَّةِ وَطُرُقِ الْبُرْهَنَةِ وَٱلاِسْتِنْبَاطِ وَتَرْتِيْبِ الْفِكْرِ ثَرْوَةٍ طَائِلَةٍ، وَنَجَحَ الْمِصْرِيُّوْنَ فِيْمَا أَخْفَقَ فِيْهِ الْغُبَرَاءِ وَٱلأَجَانِبِ، فَأَنْشَأُوا الْمَصَانِعَ الْوَفِيْرَةَ وَالْمَدَارِسَ الْكَثِيْرَةَ. وَحَاوَلَ مُحَمَّد عَلِي أَنْ يَجْعَلَ اللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ أَسَاسِيَّةً فِي التَّعْلِيْمِ وَالسِّيَاسَةِ وَٱلإِدَارَةِ فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَاضْطَرَّ إِلَى طَبِيْعَةِ الْبِلاَدِ، فَأَصْبَحَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةَ كُلِّ ذَلِكَ، وَسَاهَمَ ٱلأَزْهَرُ الشَّرِيْفُ فِيْ هَذِهِ النَّهْضَةِ الثَّقَافِيَّةِ بِتَدْرِيْسِ الْعُلُوْمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ.

حَرَكَةُ التَّرْجَمَةِ

اِقْتَضَتِ النَّهْضَةُ أَنْ تُنْقِلَ كُنُوْزَ الْغَرْبِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَأُسِّسَتْ فِيْ سَنَةِ 1436 م مَدْرَسَةُ الْإِدَارَةِ وَالْأَلْسِنِ، وَعَهِدَ بِالْإِشْرَافِ عَلَيْهَا لِرِفَاعَةِ الطَّهْطَاوِيَّةِ، وَلِمَا كَانَ تَارِيْخُهَا مُرْتَبِطًا بِهِ، وَنَهْضَةِ التَّرْجَمَةِ فِيْ عَصْرِ مُحَمَّد عَلِي وَخُلَفَائِهِ ثَمْرَةَ جِدِّهِ وَكَدِّهِ، فَقَدْ تُتَرْجَمُ تَرْجَمَةُ تُحْيِ الْمَدَارِسِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْأَلْسِنِيَّةِ.

أَسْبَابُ نَهْضَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ بِمِصْرَ

- اِتِّصَالُ الْمَدِيْنَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِالْمَدِيْنَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَوَائِلِ الْقَرْنِ الْمَاضِي
- إِزْدِيَادُ عَدَدِ الْمُسْتَعْمِرِيْنَ بِأُوْرُوبَةِ وَالشَّرْقِ، وَسَعْيُهُمْ الْمُتَوَاصِلُ فِيْ إِيْجَادِ الْمَطَابِعِ الْعَرَبِيَّةِ.
- إِيْجَادُ الْمَدَارِسِ النِّظَامِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الَّتِيْ أَنْشَأَهَا عُلَمَاءُ الْمِصْرِيِّيْنَ الَّذِيْنَ عَادُوْا مِنْ بَعْثَاتِهِمْ فِيْ أُوْرُوبَّا وَأَعْظَمُ خِدْمَةٍ لِلْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا مَدْرَسَةُ دَارِ الْعُلُوْمِ الَّتِيْ أُنْشِئَتْ بِاقْتِرَاحِ رَجُلِ مِصْرَ وَعَالِمِهَا الْمَرْحُوْمِ عَلِيْ مُبَارَك.

- الْبُعُـوْثُ الْعِلْمِـيَّةُ الْمِصْـرِيَّةُ إِلَى مَـمَالِكِ أُوْرُوبَّـةِ لِتَـلْقَى الْعُلُـوْمَ الْمُخْتَلِفَـةَ.

- شُـيُوْعُ تَعْلِـيْمِ اللُّغَـةِ ٱلأَجْنَبِيَّةِ وَجَعْـلُ تَعْلِيْمِـهَا إِجْـبَارِيًّا بِمِصْـرَ وَالشَّـامِ فِيْ مَدَارِسِ الْحُكُوْمَةِ.

- اِيْـجَادُ الْمَطَـابِعِ الْعَـرَبِيَّةِ بِمِصْـرَ وَالشَّـامِ وَالْقَسْطَنْطِـيْنِيَّةِ وَطَبَعَـهَا كَثِيْرًا مِنَ الصُّحُفِ وَكُتُبِ الْعِلْمِ وَٱلأَدَبِ وَخَـاصَّـةً الرِّوَايَةِ.

- إِنْشَـاءُ الصُّحُفِ الْعَرَبِيَّةِ بِمِصْرَ وَالشَّـامِ وَالْقَسْطَنْطِيْنِيَّةِ.

- تَنْظِيْمُ التَّقَـاضِيْ وَالتَّرَافُعِ مُنْذُ إِنْشَـاءِ الْمَحَاكِمِ ٱلأَهْلِيَّةِ

- حُدُوْثُ الْجَمْعِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَٱلأَدَبِيَّةِ لِإِلْقَـاءِ الْمُحَاضَرَةِ.

- حُـدُوْثُ فَنِّ التَّمْثِيلِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

- إِحْـدَاثُ الشَّـهَادَاتِ الدِّرَاسِيَّةِ وَاِعْتِبَارُ الْحُصُـوْلِ عَلَيْهَـا شَـرْطًا فِيْ خِدْمَةِ الْحُكُوْمَةِ

- تَنْظِـيْمُ التَّعْلِـيْمِ بِالْأَزْهَـرِ الشَّـرِيْفِ وَالْمَعَـاهِـدِ الدِّيْنِيَّةِ وَإِدْخَـالُ كَثِيْرٍ مِنَ الْعُلُوْمِ الْحَدِيْثَةِ بَيْنَ مَوَادِّ دِرَاسَتِهَا.

الدرس السابع

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْعَصْرِالْأَنْدَلُسِيْ

الْحَيَاةُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ

الْبِيْئَةُ السِّيَاسِيَّةُ

بِلاَدُ الْأَنْدَلُسِيْ أَوِ الْمُسَمَّى الْيَوْمُ بِإِسْبَانِيَا بِلاَدٌ تَقَعُ فِي الْجَنُوْبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْقَارَّةِ الْأُوْرُوبِيَّةِ قَدْ حَيَّاهَا اللَّهُ طَيِّبَةً جَمِيْلَةً وَتُرْبَةً خِصْبَةً وَسَمَاءً مُعْتَدِلَةَ الْأَجْوَاءِ وَنَشَرَتْ فِيْهَا يَدُ الْفَنِّ عَلَى مَمَرِّ الْعُصُوْرِ أَبْنِيَةٍ شَاهِقَةٍ وَقُصُوْرًا رَائِعَةً وَآيَاتٍ بَيِّنَةً فِي الْهَنْدَسَةِ وَالزُّخْرُفَةِ.

فَتَحَ الْمُسْلِمُوْنَ الْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدِ طَارِقِ بْنِ زِيَاد سَنَةَ 92 هـ، وَظَلُّوْا يَحْكُمُوْنَهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِيَةِ قُرُوْنٍ حَتَّى زَالَ مُلْكِهِمْ سَنَةَ

898هـ، وَقَدْ مَرَّ حُكْمُهُمْ بِثَلاَثَةِ عُهُوْدٍ رَئِيْسَةٍ : ٱلأَوَّلُ : عَهْدُ الْوُلاَةِ مِنْ قَبْلِ الدَّوْلَةِ ٱلأُمَوِيَّةِ فِي دِمَشْقِ [92 - 138هـ] وَهُوَ عَهْدُ حُرُوْبٍ وَتَأْسِيْسِ مُلْكٍ جَدِيْدٍ فِي الْبِلاَدِ. وَالثَّانِيْ : الْعَهْدُ ٱلأُمَوِيُّ الَّذِيْ أَسَّسَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ [138 - 322هـ] وَيَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ : عَصْرُ ٱلإِمَارَةِ الْمُسْتَلَةِ وَظَلَّ مِائَةٌ وَثَمَانِيْنَ عَامًا، وَعَصْرُ الْخِلاَفَةِ وَظَلَّ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِيْنَ عَامًا، وَكَانَ الْعَهْدُ عَهْدُ قُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ وَازْدِهَارٍ وَتَطَوُّرٍ، وَاشْتَهَرَ فِيْهِ الْخَلِيْفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنُ الثَّالِثُ 961 -912 مـ [صَاحِبُ ٱلأَفْضَالِ الْكَبِيْرَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعُمْرَانِ]. الثَّالِثُ : عَهْدُ مَلِكِ الطَّوَائِفِ422 - 898 هـ، وَفِيْهِ اِنْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى دُوَيْلاَتٍ تَتَنَازَعَ وَيُفْنِيْ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى اِنْهَارَ الْحُكْمُ ٱلإِسْلاَمِيْ نِهَائِيًّا، وَأَشْهَرُ تِلْكَ الدُّوَيْلاَتِ الْعَامِرِيُوْنَ، وَالْجَهُوْرِيُّوْنَ، وَالْمُوَحِّدُوْنَ، وَالْمُرَابِطُوْنَ، وَبَنُو ٱلأَحْمَرِ الَّذِيْنَ سَقَطَتِ الدَّوْلَةُ ٱلإِسْلاَمِيَّةُ فِيْ عَصْرِهِمْ.

الْبِيْئَةُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ

اِخْتَلَطَ الْعَرَبُ فِي الْأَنْدَلُسِ بِمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْإِسْبَانِيَا وَالْبَرَابِرَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَنَشَأَ جِيْلٌ جَدِيْدٌ بَعِيْدٌ مَدَى الْآفَاقِ، وَاسِعُ الْاِنْطِلَاقِ يَضْطَرِبُ فِيْ بَقَاعِ انْضَرَّ مَا تَكُوْنُ مِنَ الْبَقَاعِ، فِيْ بِلَادِ أَوْ مَا تَكُوْنُ مِنَ الْبِلَادِ.

لَقَدْ أَنْشَأَ الْمُسْلِمُوْنَ فِي الْأَنْدَلُسِ حَضَارَةً رَفِيْعَةً وَمَدِيْنَةً رَاقِيَةً، كَانَتْ مُشْعِلاً أَضَاءَ الْأَنْدَلُسَ وَمَا حَوْلَهَا، فَخَرَجَتْ أُوْرُوبَّا مِنْ عَصْرِ الظَّلَامِ وَالْجَهْلِ وَالْإِنْحِطَاطِ الَّذِيْ كَانَتْ تَعِيْشُ فِيْهِ إِلَى عَصْرِ النُّوْرِ وَالْعِلْمِ وَالتَّطَوُّرِ، إِذْ ظَلَّتْ أُوْرُوبَّا مُنْذُ ذَلِكَ الْعَهْدُ مَدِيْنَةً أَعْظَمَ الدِّيْنِ، لِعَبْقَرِيَّةِ الْمُسْلِمِيْنِ، سَوَاءٌ فِي اللُّغَةِ الْأَدَبِ، وَالْفَنِّ وَالْعِمَارَةِ، أَوِ الْحَرْفِ وَالصِّنَاعَةِ، أَوِ الْعِلْمِ وَالْفَلْسَفَةِ.

وَقَدْ كَانَتِ الْأَنْدَلُسِ ذَا طَبِيْعَةٍ سَاهِرَةٍ حَلاَّبَةٍ، بَلْ هِيَ مِنْ أَجْمَلِ بَقَاعِ الْأَرْضِ، فَهُنَاكَ السُّهُوْلُ الْخَضْرَاءُ، وَالْجِبَالُ الْمَكْسُوَّةُ بِالْأَشْجَارِ، وَالْأَنْهَارُ الْمُتَدَفِّقَةِ، وَالْمِيَاهُ الْعَذْبَةُ، وَالنَّسِيْمُ الْعَلِيْلُ. وَعِنْدَمَا جَاءَ الْمُسْلِمُوْنَ تَفَاعَلُوْا مَعَ تِلْكَ الطَّبِيْعَةِ فَبَنَوْا الْقُصُوْرَ

الْفَاخِرَةَ وَالْمَسَاجِدَ الْفَخْمَةَ، وَشَقُّوا التَّرْعَ وَالطُّرُقَاتِ، وَرَصَفُوْهَا وَأَنَارُوْهَا، وَزَرَعُوْا الْحَدِائِقَ بِالثِّمَارِ وَالْأَزْهَارِ، وَأُقِيْمَتِ الْقَنَاطِرَ وَالْجُسُوْرَ فَأَصْبَحَتِ الْأَنْدَلُسُ جَنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

وَقَدِ امْتَزَجَ الْعَرَبُ وَالْبَرْبَرُ بِسُكَّانِ الْبِلاَدِ الْأَصْلِيِّيْنَ، وَتَفَاعَلُوْا مَعَهُمْ فَتَكَوَّنَ مِنْ ذَلِكَ شَعْبٌ يَمِيْلُ إِلَى البَسَاطَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّسَامُحِ، وَحُبِّ الثَّقَافَةِ، وَالْحَرْصِ عَلَى النَّظَافَةِ، وَالتَّأَنُّقِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ، كَمَا امْتَازَ بِعُلُوِّ الذَّوْقِ، وَرِقَّةِ الْإِحْسَاسِ، وَدِقَّةِ الْإِدْرَاكِ وَحُسْنِ التَّدْبِيْرِ. إِلاَّ أَنَّ الْمُجْتَمَعَ لَمْ يَخْلُ مِنْ عَوَامِلِ الضَّعْفِ وَمُكَوِّنَاتِ الْفَسَادِ، فَقَدْ كَانَ كَثِيْرًا مِنْهُمْ يَمِيْلُ إِلَى حَيَاةِ التَّرَفِ وَاللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ وَالرُّقَصِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الْإِيْمَانِ، فَكَانَ هَذَا التَّرَفُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّفَكُّكِ وَالْإِنْقِسَامِ أَهَمُّ أَسْبَابِ سُقُوْطِ الْحُكْمِ الْإِسْلاَمِيْ فِي الْأَنْدَلُسِ.

الْبِيْئَةُ الثَّقَافِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ

حَمَلَ الْعَرَبُ إِلَى أَسْبَانِيَا لُغَتَهُمْ فَأَخَذَتْ تَنْتَشِرُ حَتَّى عَلَى لُغَةِ الْبِلاَدِ، وَأَصْبَحَتِ اللُّغَةَ الرَّسْمِيَّةَ، وَلُغَةَ التَّرَاقِيْ وَ الْحَضَارَةِ، وَلَمَّا

هَـــدَأَتْ اِضْـطِـرَابَاتُ الْفَتْـحِ رَاحَ ٱلأَنْدَلُسِـيُوْنَ يَنْقُلُـــوْنَ الْعُلُـــوْمَ وَالْمَعَارِفَ، وَقَدْ وَفَدَ جَمَاهِيْرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الشَّرْقِ، وَاشْتَدَّتِ الْعِنَايَةُ بِالْعِلْـمِ وَالتَّعْلِـيْمِ، وَقَامَتْ قُـرْطُبَةُ وَ غَـرْنَاطَـةُ وَإِشْـبِيْلِيَةُ وَسِـرْقَسْطَةُ وَطَلَيْطَلَـةُ وَغَـيْرُهَا جَـامِعَـاتٍ يَنْهَـلُ مِنْـهَا الْقَـاصِـيْ وَالدَّانِي الْعِلْـمِ وَالْفَـنِّ، وَفِيْ قُـرْطُبَـةِ وَحْـدِهَا ثَـمَانُوْنَ مَدْرَسَـةً. وَكَانَتْ هَـذِهِ الْمُدُنُ مَطْمَحُ طُلاَّبِ الْعِلْـمِ، وَمُصْتَدِرُ الْفِكْـرِ وَٱلأَدَبِ، وَالْمُـرْتَكِزُ الثَّقَـافِيْ الَّذِيْ يَؤُمُّـهُ ٱلأُوْرُوبِّيُوْنَ، حَيْثُ شَهَـدَتْ جَمِيْعُ الْعُلُـوْمِ تَطَوُّرًا مُذْهَـلاً فِيْ عُلُـوْمِ الدِّيْنِ وَاللُّغَـةِ، وَٱلأَدَبِ، وَٱلإِجْتِمَـاعِ وَالْفَلْسَفَـةِ وَالرِّيَـاضَـاتِ وَالطِّبِّ، وَالْفَلَكِ وَالْكِيْمِيَاءِ، وَالْفِيْزِيَاءِ وَتَرَكُوْا فِيْ ذَلِكَ آثَـارًا مَكْتُوْبَةً ضَـاعَ الْكَثِيْرُ مِنْهَـا. وَرَاحَ ٱلأَنْدَلُسِـيُوْنَ إِلَى ذَلِكَ، يَهْتَمُّـوْنَ لِجَمْـعِ الْكُتُبِ وَاِنْشَـاءِ الْمَكْتَبَـاتِ، وَقَدْ جَمَعَتِ الْخَـزَانَةِ الْمَلَكِيَّةِ فِيْ قُـرْطُبَةِ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفِ مُجَلَّدًا .

قَدْ شَجَّعَ ٱلأَنْدَلُسِيُوْنَ الْعِلْمَ وَأَرْسَلُوْا بَعْضَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَشْـرِقِ لِتَلَقِّى الْعِلْـمِ وَٱلأَدَبِ، كَـمَا عَمِلُـوْا عَلَى اجْتِذَابِ عُلَمَـاءِ الْمَشْـرِقِ إِلَى ٱلأَنْدَلُسِ لِنَشْـرِ الْعِلْـمِ، فَهَـاجَـرَ إِلَيْهَـا نُخْبَةٌ مِنْهُـمْ فِيْ

شَتَّى صُنُوْفِ الْمَعْرِفَةِ، وَآثَرَ أُوْلَئِكَ الْعُلَمَاءُ الْبَقَاءَ فِي ٱلأَنْدَلُسِ لِمَا رَأَوْا مِنَ التَّقْدِيْرِ وَوَسَائِلِ ٱلإِغْرَاقِ.

وَقَدْ لَمَعَتْ أَسْمَاءُ كَثِيْرٍ مِنَ الْمُفَكِّرِيْنَ وَٱلأُدَبَاءِ أَمْثَالُ ٱلإِمَامِ ابْنِ حَزْمِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 456 هـ، وَالْمُؤَرِّخِ ابْنِ حَيَّانِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 469 هـ، وَٱلأَدِيْبِ ابْنِ زَيْدُوْنَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 594 هـ، وَالْمُفَسِّرِ الْقُرْطُبِي الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 516 هـ، وَالْفَيْلَسُوْفِ اِبْنِ رُشْدِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 594 هـ، وَغَيْرِهِمْ .

وَقَصَارَى الْقَوْلِ أَنَّ ٱلأَنْدَلُسَ كَانَتْ بِحَقٍّ مُفَخَّرَةٍ لِلدُّنْيَا فِي الْعُلُوْمِ وَالْفُنُوْنِ وَأَسْبَابِ الْمَدِيْنَةِ جَمِيْعًا، وَأَنَّهَا كَانَتْ فِرْدَوْسًا لَمْ تَشْهَدْ قَبْلَهُ ٱلأَرْضُ مَثِيْلاً.

حَالَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيّ فِيْ بِلاَدِ ٱلأَنْدَلُسِ

اِنْتَشَرَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْ جَمِيْعِ أَرْجَاءِ بِلاَدِ ٱلأَنْدَلُسِ وَنَوَاحِيْهَا بِسُرْعَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ الدِّيْنَ يَحْمِلُهَا عَلَى جَنَاحِيْهِ فَتَهْبِطُ مَعَهُ أَيَّمَا هَبَطَ، وَتَتَرَسَّمَ خُطَاهُ أَنَّى سَارَ، مِمَّا يَحْمِلُ السُّكَّانُ عَلَى ٱلإِهْتِمَامِ بِتَعْلِيْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَاكَانَ مِنْ سُهُوْلَةٍ وَضَبْطِ قَوَاعِدِهَا وَكَثْرَةِ مُعَلِّمِيْهَا وَمَا رَأَوْهُ مِنَ التَّسَامُحِ وَٱلإِغْضَاءِ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَقَدْ كَانَ لِأُمَرَاءِ ٱلأَنْدَلُسِ وَخُلَفَائِهِمْ وَسَلاَطِيْنِهِمْ فِيْ تَرْقِيَةِ شُئُوْنِ اللُّغَةِ وَإِعْلاَءِ كَلِمَتِهَا أَثَرٌ جَلِيْلٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ، ظَهَرَ فِيْ بَذْلِهِمُ النَّفِيْسِ لَتَرْبِيَةِ مَلَكَةِ اللُّغَةِ فِيْهِمْ وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَسَالِيْبِهَا وَامْتِلاَكِ نَوَاصِى

آدَابِهَا وَتَحْرِيْرِ رُقَابِ عِبَارَاتِهَا وَنَشْرِ الْمَسَاجِدِ وْالْمَدَارِسِ وَالْحَضِّ عَلَى التَّعْلِيْمِ وَالتَّعَلُّمِ.

كَانَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِيْ بِلاَدِ ٱلأَنْدَلُسِ لَمْ تَكُنْ سَائِرَةً عَلَى سُنَنٍ وَاحِدٍ بَلْ كَانَتْ تَتَغَيَّرُ أَحْوَالُهَا، وَتَتَبَادَلَ صِفَاتُهَا تَبَعًا لِمَا تَتَقَلَّبُ فِيْهِ ٱلأُمَّةُ مِنْ سَرَّاءِ وَضَرَّاءِ، وَسَعَادَةٍ وَشَقَاءٍ، وَبَدَاوَةٍ وَحَضَارَةٍ، وَقُوَّةٍ وَضَعْفٍ، وَتَبْعِيَةٍ وَاسْتِقْلاَلٍ، فَقَدْ كَانَ فِي الصَّدْرِ ٱلأَوَّلِ مِنَ الْفَتْحِ تَشَابُهًا حَالُهَا عِنْدَ بَنِيْ أُمَيَّةِ بِالْمَشْرِقِ :عِبَارَةً سَهْلَةً بَرِيْئَةً مِنَ التَّصَنُّعِ وَالتَّعَمُّلِ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهَا التَّرَسُّلِ يُمْحَى فِيْهَا تَصَنُّعُ الْبَدِيْعِ بِأَنْوَاعِهِ، وَتَحَوُّكٍ فِي الصَّدْرِ، وَتَعَمُّلٍ فِي النَّفْسِ، تَكَادُ أَغْرَاضُهَا تَنْحَصِرُ فِيْ أَنْوَاعِ الْمَعِيْشَةِ وَحِمَايَةِ الدِّيْنِ وَالْحَثِّ عَلَى إِعْلاَءِ وَنَشْرِ تَعَالِيْمِهِ.

وَفِيْ زَمَنِ بِنِيْ أُمَيَّةِ وَمُلُوْكِ الطَّوَائِفِ، عَمَّتِ اللُّغَةُ عَلَى السُّكَّانِ عَلَى اِخْتِلاَفِ ٱلأَجْنَاسِ وَٱلأَدْيَانِ حَتَّى تُرْجَمُ بِهَا الْقَسُوْسُ وَالتَّوْرَاةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْكُتُبِ الدِّيْنِيَّةِ، فَاتَّسَعَتْ أَغْرَاضُ لُغَتِهِمْ حَتَّى كَادَتْ لاَ تُحْصَى.

وَلَقَدْ كَانَتْ مَعَانِي اللُّغَةِ وَتَصَوُّرَاتِهَا خَالِيَةً مِنَ الْغُمُوْضِ، بَعِيْدَةً مِنَ التَّعَمُّقِ فِي الْفِكْرِ، مُتَجَافِيَةً عَنِ الطُّرُقِ، وَالتَّدْقِيْقَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ صُوَرُهَا وَتَعَدَّدَتْ مَنَازِعُهَا تَبَعًا لِسَعَةِ الْحَضَارَةِ وَتَنَوُّعِ مَنَاحِيْهَا تَكْثِيْرًا فِيْهَا الطَّرَفُ اللَّذِيْذَةُ وَالتَّحَفُ الْمَشُوْقَةُ وَالنَّكَاتُ وَالْمُضْحِكَةُ.

أَمَّا خَيَالُهَا فَدَقِيْقُ التَّمْثِيْلِ وَاضِحُ التَّصْوِيْرِ وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ الْمَلاَحَةُ أَثْوَابَهَا وَأَعَارَتِ الرَّشَاقَةُ حِيْلَهَا وَمَلاَبَهَا دُوْجَ حُسْنِهِ بِالْبَدَائِعِ مُثْمِرٍ. لَقَدْ تَأَنَّقَ ٱلأَنْدَلُسِيُوْنَ فِيْ عِبَارَاتِهِمْ، فَاخْتَارُوْا لَهَا سَهْلَ ٱلأَلْفَاظِ، وَسَلِسَ التَّرْكِيْبِ، بَدِيْعَ ٱلأَسَالِيْبِ، وَالْتَزَمُوْا فِيْهَا السَّجَعُ الْخَفِيْفُ الرُّوْحُ، وَالْعَذْبُ الْمُسَاغُ، الْقَصِيْرُ الْفَوَاصِلُ.

وَفِيْ زَمَنِ الْمُرَابِطِيْنَ وَالْمُوَحِّدِيْنَ وَمُلُوْكِ مُرَاكِشِ يَوْمَ أَنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ تَابِعَةً لَهُمْ دَبَّ فِي اللُّغَةِ دَبِيْبُ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، وَسَرَى فِي جِسْمِهَا سَمُّ التَّأْخِيْرِ وَٱلإِنْحِطَاطِ، ذَهَبَتْ نَضْرَتُهَا وَقَلَّتْ بَهْجَتُهَا لِكَثْرَةِ الْفِتَنِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْحُرُوْبِ الْمُسْتَمِرَّةِ، لأَنَّ الرُّؤَسَاءَ مِنَ الْبَرْبَرِ قَلَّمَا تُهَزُّ الْعِبَارَاتُ الرَّائِقَةُ وَٱلأَبْيَاتِ الْحَكِيْمَةِ، فَأَخَذَتِ

اللُّغَـةُ تَدَهُّـوْرَ حَـتَّى كَادَ يَقْـضِي عَلَيْهَا لَوْلاَ إِنَّ تَـدَارُكَـهَا اللَّـهُ بِبَنِيْ هُـوْدٍ وَبَنِي ٱلأَحْمَرِ.

المراجع

ابْنُ مَنْظُوْر، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، بَيْرُوْت: دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِي، دُوْنَ السَّنَةِ.

أَبِي الْفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جَنَّى، **الْخَصَائِصُ لِابْنِ جَنَّى**، مُجَلَّدُ 1 و 2 و 3بَيْرُوْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 2001

أَحْمَد ٱلإِسْكَنْدِي وَالشَّيْخُ مُصْطَفَى عَنَانِي، **الْوَسِيْطُ فِي ٱلأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَتَارِيْخِهِ**، مِصْر: دَارُ الْمَعَارِفِ، دُوْنَ السَّنَةِ.

حَسَنُ شَاذَلِي فَرْهُوْد وَأَصْحَابُهُ، **اَلْأَدَبُ وَالنُّصُوْصُ لِلصَّفِّ الثَّانِيْ الثَّانَوِي**، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُوْدِيَّةُ 1977 .

حُمُوْد بْنُ عَبْدُ اللَّهِ السَّلاَمَة وَأَصْحَابُهُ، **اَلْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ لِلصَّفِّ الثَّانَوِيْ**، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُوْدِيَّةُ وِزَارَةُ الْمَعَارِفِ 1999

عَبْدُ الْعَزِيْزِ عَبْدُ الْحَمِيْدِ الْمَجِيْدِ، **اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأُصُوْلُهَا النَّفْسِيَّةُ وَطُرُقُ تَدْرِيْسِهَا نَاحَةَ التَّحْصِيْلِ**، مِصْر: دَارُ الْفِكْرِ 1961

عَبْدُ الْعَظِيْمِ إِبْرَاهِيْمُ مُحَمَّدُ الْمُرْطَعِي، **خَصَائِصُ التَّعْبِيْرِ الْقُرْآنِي وَسِمَاتِهِ الْبَلاَغِيَّةِ**، الْقَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ وَهْبَة، دُوْنَ السَّنَةِ.

عُمَرُ الدَّاسُوْقِي، **فِي الْأَدَبِ الْحَدِيْثِ**، ج 1 .مِصْر: دَارُ الْفِكْرِ، دُوْنَ السَّنَةِ.

مُحَمَّدُ سَرْحَان، **فِقْهُ اللُّغَةِ**، كُلِّيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالرِّيَاضِ 1956

مَحْمُوْد زَبْرَان، **فِيْ فَلْسَفَةِ اللُّغَةِ**، دَارُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ 1985

كَامِـل الْمُهَـنْدِس، **مُعْجَـمُ الْمُصْطَلَحَـاتِ الْعَـرَبِيَّةِ فِي اللُّغَـةِ وَالْأَدَبِ**، لُبْنَان: دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ 1984

لَجْنَةٌ مِنَ ٱلأَسَـاتِذَةِ ٱلأَقْطَارِ الْعَـرَبِيَّةِ، **الْمُـوْجِـزُ فِي ٱلأَدَبِ الْعَـرَبِيْ وَتَـارِيْـخِهِ**، ٱلأَدَبُ فِي ٱلأَنْدَلُـسِ وَالْمَغْـرِبِ، لُبْـنَان: دَارُ الْمَعَارِفِ 1962

نَوَال مُحَمَّـد عَطِـيَّة، **عِلْـمُ النَّفْسِ اللُّغَـوِيْ**، مِصْـر: مَكْتَبَةُ ٱلأَنْجَلُو الْمِصْرِيَّةِ، دُوْنَ السَّنَةِ.

Dr. Muhammad Sa'i, lahir di Montong Are, tahun 1968 dari pasangan H. Mahyuddin (almarhum) dengan Maenah. Dosen tetap Fakultas Usuluddin dan Sosiologi Agama Universitas Islam Negeri Mataram. Pendidikan dasar diselesaikan di SDN Gerung Butun Kecamatan Narmada tahun 1981. Pendidikan menengat dan atas di Madrasah Tsanawiyah (MTs) dan Madrasah Aliyah (MA) Dakwah Islamiyah Putra Pondok Pesantren Nurul Hakim Kediri tahun1989. Pendidikan Sarjana (S1) diselesaikan di IAIN (sekarangUIN) Sunan Kalijaga Fakultas Adab Jurusan Bahasa dan SastraArab (BSA) tahun 1995, Magister (S2) di Pascasarjana UIN Syarif Hidayatullah Jakarta Kosentrasi Islamic Studies (Tafsir Hadits) tahun 2003, dan Doktor (S3) Islamic studies UIN Sunan Ampel Surabaya tahun 2020. Istri Baiq Iffah Zuhro Artawan S.Ag, Anak; 1)Aufa Ilhamil Fikri, 2) Helwa Laely Sakanti, 3) Alvan AdzkiaRamadhani.

ISBN 978-623-91908-7-3
9 786239 190873

Office :
Kampus 2 UIN Mataram (Gedung Research Center Lt. 1)
Jalan Gajah Mada No 100 Kelurahan Jempong Baru
Kecamatan Sekarbela Kota Mataram 83113
e-mail: press@uinmataram.ac.id